كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

مستويات التناص في شعر
محمد بن الطلبه الموريتاني " دراسة تطبيقية"

إعداد

د/ فاطمة محمد قطب محمد

مدرس الأدب والنقد
في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الأربعون)
(الإصدار الأول ـ الجزء الخامس)
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

مستويات التناص في شعر محمد بن الطلبه الموريتاني "دراسة تطبيقية"

فاطمه محمد قطب محمد .
قسم الأدب والنقد، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الجامعي الإلكتروني: fatmakotb973.el@azhar.edu.eg

الملخص:

التناص من الظواهر النقدية الحديثة التي ظهرت في الأدب في منتصف الستينيات على يد الباحثة الفرنسية "جوليا كريستيفا"، ثم تناوله العديد من النقاد بالدراسة والتطبيق. هذا وقد اختلفت وجهات نظر النقاد حول مفهوم التناص وأنواعه وأشكاله ومستوياته، كما حدث خلط واسع بينه وبين المفاهيم النقدية القديمة كالسرقة، والتضمين، والأخذ، وغيرها، ومهما يكن من أمر فإن التناص يدرس العلاقة بين النصوص السابقة والحاضرة، وما ترسب في النص الحاضر من آثار جمالية، والهدف من توظيفه. وقد تناولت هذا من خلال أشعار محمد بن الطلبه التي وردت في ديوانه؛ ذلك الشاعر الموريتاني العالم الجليل، الشاعر الفذ، وكشفت عن مستويات التناص في شعره، وقد اعتمدت على المنهج التكاملي، ومن أهم نتائج البحث إكثار ابن الطلبه من التناص مع القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وهذا يرجع إلى نشأته الدينية، وأن مستويات التناص (الاجترارى ـ الإشاري ـ الامتصاصي ـ الحواري) التي وردت في شعره تتفاوت في قلتها وكثرتها حسب الموقف والسياق، فهي تصدر عن وعي منه وقصد، استطاع ابن الطلبه بمقدرته الفنية أن يطوع التناص للتعبير عن أفكاره وآرائه لإقناع المتلقي واستمالته.

الكلمات المفتاحية: محمد بن الطلبه، موريتانيا، التناص، مستويات، دراسة، تطبيقية.

Levels of intertextuality in the poetry of Muhammad ibn Talaba of Mauritania, an applied study

Fatma Mohamed Kotb Mohamed .
Department of Literature and Criticism, The Islamic Girls College in Assiut, Al Azhar university, Egypt.
Mail: fatmakotb973.el@azhar.edu.eg

Abstract:

Intertextuality is one of the modern critical phenomena that appeared in literature in the mid-sixties In research the French researcher Julia Kristeva, and then many critics addressed it with study and application. This has been Opinions of critics differed About intertextuality, its types, forms, and levels, and there has been a wide confusion between it and the old critical concepts such as theft, inclusion, taking, etc. Whatever the matter, intertextuality studies the relationship between previous and present texts, and the aesthetic effects deposited in the present text, and the purpose of employing it . I dealt with this through the poems of Muhammad Ibn Talaba that were mentioned in his Poetry Diwan; That Mauritanian poet, the venerable scientist, the unique poet, and I revealed the levels of intertextuality in his poetry, and I adopted on the integrative approach, and among the most important results of the research: Ibn Talibah most of intertextuality with the The Holy Quran and the Hadith of the Prophet, and this is due to his religious upbringing, that the levels of intertextuality (ritualistic - indicative - absorption - dialogue) that appeared in his poetry vary in their smallness and abundance according to the situation and context. Enable Ibn Talaba, with his artistic

ability, to obey intertextuality to express his thoughts and opinions, to convince receiver and and influence it .

Keywords: Muhammad bin Talaba, Mauritania, intertextuality, levels, study, applied.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ـ أطيب القول وأحلاه، وأفضله وأسناه ـ حمدا يبلغ رضاه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح العرب لسانا، وأبلغهم بيانا، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اقتدى بهديه إلى يوم الدين .... **أما بعد** :

فإن اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والقرآن الكريم جعل للغة العربية فوائد لا تنفد وكنوزا لا تحصى.

ويعد التناص من المفاهيم النقدية الأدبية الحديثة ولكن مفهومه يشبه بعض المصطلحات القديمة التي وردت في كتب التراث كالاقتباس، والتضمين، والأخذ، والسرقة، وغيرها ، وهذه الظاهرة تهتم بالكشف عن التواصل والتداخل والتفاعل بين النصوص الأدبية، وتحديد علاقة التأثير والتأثر التي تنشأ بين نص أدبي حاضر ونصوص سابقة غائبة من خلال استدعائها واستحضارها في ذاكرة الشاعر.

فالأديب واع لما يعلق بذهنه ويستهويه فيضمه إلى ذاكرته، ليبقى مخزونا ورافدا يستحضره ويرجع إليه عندما يصدر نصه الأدبي، وبذلك يكون نصه الأدبي الجديد متضمنا لنصوص سابقة، فالتناص معتمد على المرجعية الأدبية، وللكشف عن التفاعل بين النصوص وتحديد مستوى التداخل تتبعت شعر محمد ابن الطلبه الموريتاني ، ليظهر من خلال البحث كيف تناص شعره مع التراث وكيف وظفه ؟ وهل أضاف التناص بمستوياته إلى شعره شيئا جديدا ؟

وشاعر تلك الدراسة شاعر من علماء موريتانيا الأجلاء، وقد استطاع بفضل علمه وثقافته أن يصدر ديوانا يشبه الشعر الجاهلي من حيث القوة والجزالة، وشعره حوى أشعارا من القدماء الكبار كشعراء المعلقات ، فتناص مع بعض أشعارهم وزين بها شعره ؛ فأصبح شعره يشبه إلى حد كبير الشعر الجاهلي، وهذا ما شد انتباهي لشعره وأردت أن يكون موضوع الدراسة لأسلط الضوء عليه وعلى شعره .

وقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المناهج المتداخلة ـ للكشف عن مستويات التناص وجماليات تفصيلاته ـ منها المنهج الوصفي لرصد حركة التناص وتتبعها، والمنهج التحليلي لتحليل النصوص والوقوف على النص الحاضر وإيجاد العلاقة بينهما ، والمنهج الجمالي لتذوق النصوص وللكشف عن أثر التناص ومستوياته .

وقد جاء بحثي بعنوان [مستويات التناص في شعر محمد بن الطلبه الموريتاني "دراسة تطبيقية"]، وقد قسمته إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث :

ففي المقدمة: تحدثت عن سبب اختياري للموضوع.

أما التمهيد: وفيه ذكرت لمحة عن حياة الشاعر محمد بن الطلبه، وعلمه وثقافته، والأغراض التي تناولها في شعره، وتحدثت فيه عن مفهوم التناص وأنواعه ومستوياته.

أما المبحث الأول: فكان بعنوان: " التناص الاجتراري".

والمبحث الثاني: كان بعنوان: " التناص الإشاري" .

أما المبحث الثالث: فكان بعنوان: " التناص الامتصاصي" .

والمبحث الرابع: كان بعنوان: " التناص الحواري" .

وختمت البحث بما توصلت إليه من نتائج بعد تتبع ظاهرة التناص في شعر ابن الطلبة، والكشف عن جماليات ومستويات التناص عنده ، وأتبعتها بثبت بالمصادر والمراجع.

وبعد ..

فقد حاولت جاهدة من خلال هذه الدراسة الكشف عن علاقة التأثير والتأثر والتداخل بين النصوص الأدبية من خلال مستويات التناص، فإن وفقت فهو من فضل الله ـ عز وجل ـ علي وإن كانت الأخرى؛ فالكمال لله وحده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التمهيد

الشاعر والتناص

أولا : إطلالة على حياة الشاعر محمد بن الطلبه الموسوي اليعقوبي الموريتاني

ـ نسبه ومولده:

هو العالم اللغوي الفقيه الشنقيطي[1] الموريتاني" محمد بن محمد الأمين ابن محمذ (آبَّه) بن المختار بن موسي بن يعقوب"، وقد عرف بابن الطُّلبه الموسوي اليعقوبي ، ينتهي نسبه إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه " [2] .

هذا وقد ولد هذا الشاعر سنة ١١٨٨هـ ـ ١٧٧٤م في ولاية تيرس تقع في أقصى الشمال الموريتاني ، وتمتاز بمناظرها الخلابة وثرواتها المعدنية، وقد تغنى

---

(١) الشنقيطي نسبة إلى بلاد شنقيط ، وهي دولة موريتانيا الآن ، تقع في غرب أفريقيا، جميعهم مسلمون يتحدثون العربية، ويعتمد الاقتصاد على الزراعة والرعي، واستخراج المعادن كالحديد (موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، تأليف : أحمد معمور العسيري، الناشر : مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرباط ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ، ص٤٨٥) .

(٢) مقدمة ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني (١١٨٨ م / ١٢٧٢هـ ـ١٧٧٤ ـ ١٨٥٦م) شرح وتحقيق الأستاذ / محمد عبد الله بن الشبيه ابن أبوه ، مراجعة فضيلة الشيخ / محمد سالم بن محمد علي ، تقديم الدكتور محمد بباه بن محمد ناصر ، الناشر أحمد سالك بن محمد الأمين بن أبُوه ، لدى المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي نواكشوط ، موريتانيا ، ص١٣.

بها الشاعر في قصائده ، وتوفي والداه وهما في ريعان الشباب ، ووحيدهما لم يكمل سنته الأولى ؛ فحضنته جدته لأمه ورعاه جده لأبيه، وكان جده شيخا عالما غزير العلم عظيم الجاه ، جمع بين الثراء والقضاء[1].

وفي بيت جده الشيخ القاضي الفقيه نهل ابن الطلبه من علوم جده من فقه، ونحو، ولغة، وأدب ، وتعلم ونال نصيبا وافرا من الثقافة العربية الإسلامية ، "ولقب بيته بالطلب لأنهم كانوا أعلم أهل ناحيتهم ، فكانت الناس ترحل إليهم في طلب العلم، وكان مولعا بالعربية، لا يفتر من التنقيب عنها والتحرير"[2].

ـ تحصيله العلمي ومنزلته.

نشأ ابن الطلبه في بيت دين وعلم ، وكان منذ صغره شغوفا بطلب العلم، وحريصا على ملازمة العلماء والاستفادة منهم ، ودائم التردد على علماء المساجد والأخذ من علومهم ، فقد كان " عصاميا في تحصيله بدرجة عالية، فقد كان كثير الاطلاع على الكتب والدواوين، يساعده على ذلك ذكاء ثاقب، وعزيمة لم تعرف الوهن، وسعى إلى اقتناء الكتب بالشراء وبالاستنساخ والإعارة ، ولم يلبث أن بنى مظلة ثقافية جمعت بين الاتساع والتنوع ، ثم درس الفقه أصولا وفروعا ، واللغة، والأدب، والمنطق، والتاريخ، والأنساب" [3]، لذا يلحظ قارئ شعره رجوعه في الغالب إلى أصول فنية قديمة ، وأن شعره يشبه الشعر الجاهلي، لاطلاعه على دواوين

(1) انظر مقدمة ديوان محمد بن الطلبه ، ص١٣.

(2) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، تأليف : أحمد بن الأمين الشنقيطي ، بعناية / فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ، مطبعة المدني، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م ، ص٩٤.

(3) مقدمة ديوان محمد بن الطلبه ، ص١٦ ـ ١٧.

الشعراء الجاهليين وشرح قصائدهم .

ـ أخلاقه وصفاته

وتحلى ابن الطلبه بصفات حميدة وأخلاق عالية ولين في التعامل، وكرم النفس وسمو الخلق ، فتكاد " تجمع المراجع التي تتحدث عنه على أنه كانت للرجل إلى علمه، صفات خلقية أبهرت معاصريه ؛ فقد كان سخيا، راجح العقل دمث الأخلاق، حلو المعاشرة، وقد حظيت خصاله وشعره باهتمام كبير نجد له صدى واضحا في كل أنحاء القطر الشنقيطي وخارجه" [١].

ومما يدل على سمو خلقه خلو ديوانه من الهجاء والمدح التكسبي، والغزل الفاحش ، ولكنه أكثر في ديوانه من المديح النبوي تعبيرا عن عاطفته الدينية وتوسلا بالممدوح صلى الله عليه وسلم .

فقد قال عنه " أحمد بن الأمين " (ت ١٣٣١هـ / ١٩١٢م) : إنه فاق أقرانه في العلم والكرم وجودة الشعر ، ثم يؤكد ذلك : ولا تكاد تعد طبقة إلا بدأت به، إذا عد الكرام فهو حاتمهم ، وكل أخباره تكتب بماء الذهب" [٢].

ثم تحدث عنه في عبارة موجزة معبرة فقال : " فقد كان محمد هذا حسنة من حسنات الدهر لا نزاع في ذلك ، فهو غني النفس من الحلماء المشهورين"[٣] .

ويقول عنه محمد عبد الله بن البخاري بن الفلاني (ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) : ومن المشهورين في هذه البلاد محمد بن الطلبه العالم الشهير الأديب الشاعر الحسن الخط " [٤].

---

(١) مقدمة ديوان محمد بن الطلبه ، ص١٩.

(٢) انظر الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، تأليف : أحمد بن الأمين الشنقيطي ، ص ٩٤ .

(٣) المرجع السابق، ص٩٥.

(٤) مقدمة ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٨.

ومن هنا فإننا أمام شخصية تاريخية عرفت بالنبوغ والتفوق والتبحر في علوم عصره ، أضف إلى ذلك ما عرف عنه من طيب الذكر بين العامة والخاصة، فكان مثال المثقف العالم والمؤلف الحجة .

ـ مؤلفاته

كان "ابن الطلبه" غزير العلم واسع الاطلاع ؛ ألف كتبا كثيرة أغلبها مخطوط منها:[1]

١ – نظم التسهيل : وقد نظم فيه" تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لمحمد بن مالك (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م) ، وهو مؤلف نثر تناول فيه الأحكام النحوية ، وهو أكمل ما ألفه ابن مالك في النحو، بدأ ابن الطلبه هذا النظم بقوله (بحر الرجز):

قَالَ الجديرُ بِالجَفَا الفقبر ∴ لرحمةِ الرحمنِ والحقيرُ

محمدُ المعروفِ بابنِ الطلُبه ∴ هَيئ لهُ يَا رب أسْنَى طَلَبه

٢– نظم الشيخ خليل ، وهو نظم لمختصر خليل بن إسحاق الجندي (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ألفه فيما به الفتوى على مذهب الإمام مالك ، وقد وضع عليه من الشروح والحواشي ما زاد على المائة .

٣ ـ "مجمع محمد" وهو كتاب في الأدب جمع فيه مختارات وتقييدات من الأغاني والأمالي والنوادر وغيرها .

٤ ـ شرح لديوان الشعراء الستة الجاهليين .

٥ ـ حواش وشروح على أمالي أبي علي القالي ونوادره .

٦ ـ منظومات في مسائل مختلفة ، منها نظم في اللغة أوله (بحر الرجز):

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٨ ـ ٢٩.

أولُ واجـبٍ علَـى مَـنْ كُلِّفَـا ∴ تَعَلُّـم اللغـةِ حتَّـى يَعْرِفَـا
مَعْنَـى الإلـهِ باللسـانِ العَرَبِّـي ∴ لأنَّـهُ مفتـاحُ نيـلِ الأربِ

ـ وفاته

"توفي محمد بن الطلبه سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م عن نحو ٨٤ سنة ، ودفن بجانب جبل انتاجاط جنوب غرب تيرس" [١] ، وقد ذكر الجبل الذي دفن به في طائيته فقال(بحر الكامل) : [٢]

أوْ يَنْتَجِعْنَ مـعَ الْعَشِـيِّ مَرَاتِعًا ∴ بـينَ الأَطِـيطِ[٣] فَأَجْبُـلِ انْتَاجَـاطِ

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.

ـ شعره

تنوعت أغراض الشعر عند هذا الشاعر فكان منها: المدح، والفخر، والشكوى، والغزل، والرثاء ، ونظرا لأخلاقه الكريمة وعزة نفسه نأى بنفسه عن الهجاء، والمدح التكسبي، والغزل الفاحش.

فقد أكثر من مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين والمرسلين(بحر الخفيف):[٤]

كُـلُّ أَهْلِـي ومَـن أُفـدِّي ونَفْسِـي ∴ والْمُفـدِّىّ للنَّبِـيِّ الفِـداءُ
هُـوَ مَـا هُـو، هُـو لـوْلَا عُـلَاهُ ∴ مـا درَى مـا النُّبُـوَّةُ الأَنْبِيـاءُ

(١) مقدمة ديوان محمد بن الطلبه ، ص٣٠.
(٢) ديوان محمد بن الطلبه ، ص٢٤٣.
(٣) أطيط : منهل غربي تيرس يدعى معطى الله (هامش ديوان محمد بن الطلبة ، ص٢٤٣).
(٤) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٠٣.

هُـوَ مِفْتـاحُ مُغْلَـقِ الكـوْنِ والخَـا ∴ تــمُ فــالْخَتْمُ يَــالقَومِي ابْتِــداءُ

وله أبيات كثيرة في الحكمة، منها ما قدمها لابنه أحمد (بحر الطويل): [1]

ومَــا الــدَّهرُ إلَّا بــيْنَ لــينٍ وشــدةٍ ∴ فمنْ سُرَّ مُسْيًا فيهِ أصبحَ مُرْغَما

ومَــا الحــزْمُ إلَّا مِــرَّةُ الــنَّفْسِ تُقْتَنَــى ∴ لِشِــدَّتِهِ مِــنْ قبــلِ أَنْ تَتَحَكَّمَــا

ومَــا العجــزُ إلَّا أنْ تَلِــينَ لِمَسِّــهَا ∴ فَتَضْجَرَ مِنْ قبْلِ الرَّخاءِ وتَسْأَمَا

ومن أبياته في الغزل الذي يشبه الغزل العذري قوله (بحر البسيط): [2]

وَلَا أَرَانِـــي أرَى رَسْـــمًا ولَا طَلَـــلَا ∴ إلَّا وساءَلْتُ عنْها الرَّسْمَ والطَلَلَا

هِيَ الَّتِي مِنْ هَواهَا الجِسْمُ قدْ نَحِلا ∴ والبَيْنُ جارَ علَى قلبِي ومَا عدَلَا

هِــيَ الَّتِــي لِلِقَاهَــا أَفْــرَحُ الجَــذَلَا ∴ ونَيلِيَ الوصلَ منْهَا نَيْلِيَ الأَمَلَا

فالشاعر بحث عن حبيبته في كل مكان ، ولم يترك رسما ولا طللا إلا وسأله عله يلقاها؛ فيفرح وينعم بوصلها ولكن وصالها بعيد المنال ؛ فقد أوشك يفارق الحياة من شدة نحوله .

واشتكى كثيرا من هموم ليله الذي لا يزول وقد أوشكت أن تقتله وتفضي بحياته (بحر الخفيف): [3]

طَـالَ لَيْلِـي بسـاحةِ الكَـرْبِ حَتَّـى ∴ كِدْتُ أَقْضِي الحياةَ قبلَ الصَّبَاحِ

إنْ أَبِــتْ سَــاهِرًا أُغالِــبُ هَمًّــا ∴ قَــاتِلًا مَــا لِبَرْحِــهِ مــنْ بَــرَاحِ

([1]) المصدر السابق ، ص ٤٤٤.

([2]) المصدر السابق ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨.

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٨٥.

وكان حريصا على دعوة مجتمعه إلى التمسك بدين الله . عز وجل . ونصرته (بحر الطويل): [1]

فَـدَعْ ذِكْـرَ أيَّـامِ الشَّـبَابِ فَـذِكْرُهُ ∴ أَخِيـرًا وَقَـدْ ولَّـى ضـلالٌ وباطـلٌ
ولكنْ إلَى الرحمنِ فاشْكُ مُصِيبةً ∴ أَلَمَّتْ بِنَـا مَـا إنْ إلَيْهـا المَعَاضِـلُ
مصـيبةُ ديـنِ اللهِ أَمْسَـى عِمَـادُهُ ∴ كَمَنْفُوسِ حُبْلَى غَرَّقَتْـهُ القَوابِـلُ[2]
تظـاهرَ أقـوامٌ عليـهِ فطَمَّسُـوا ∴ هُـدَاهُ فَهُـمْ عـادٍ عليـهِ وخَـاذِلُ

وعرض بالمنافقين الذين تعاونوا على محو هدي الدين الحنيف وخذلوه، وقال عنهم (بحر الطويل): [3]

فَهُـمْ يـدَّعُونَ الـدِّينَ والـدِّينُ مِـنْهُمُ ∴ مَنَـاطَ الثُّرَيَّـا رامَهَـا المُتَنَـاوِلُ
يُصَـلُّونَ لَا يَأْتونَهَـا بطَهَـارةٍ ∴ وعنـدَ الأذانِ نَـوْوُهُمْ مُتَكَاسِـلُ

ثانيا : توطئة حول مفهوم التناص وأنواعه ومستوياته

التناص من المصطلحات الحديثة التي وفدت من النقاد الغربيين – وعلى رأسهم الكاتبة الفرنسية " جوليا كريستيفا " – إلى النقاد العرب الذين أولوه اهتماما بالغا وتناولوه بالدراسة ؛ لما للتناص من أثر جمالي بالغ ناتج من إثارة انتباه المتلقي لمعرفة علاقة التفاعل بين النصين الحاضر والغائب .

وعلى الرغم من أن التناص عرف حديثا إلا أن النقاد القدامى تنالوا ما يشبه معناه في كتبهم ولكن تحت عنوان السرقات الأدبية ، واستخدموا فيه مصطلحات

([1]) المصدر السابق ، ص ٣٤١ . ٣٤٢ .

([2]) القوابل : جمع قابلة يعني تركته ولم تتحاش دخول السابياء في أنفه وفمه فيموت (ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٤١).

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٤٤ .

نقدية كثيرة تشبه معنى التناص كالأخذ، والاقتباس، والتضمين، والتلميح، والسلخ، والمعارضة، والاجتلاب، والانتحال، والإغارة، والاستشهاد، والسطو، وغيرها من المفاهيم ، ولكن "مفهوم التناص المعاصر قد تشعب وتعمق واتسع بحيث احتوى هذه المصطلحات القديمة وتجاوزها، وأضاف عليها عناصر جديدة " [1].

ويرى "خليل الموسى" أن هناك ثلاثة فروق أساسية بين مفهومي التناص والسرقة: " أولا: على مستوى المنهج فالسرقة تعتمد على المنهج التاريخي التأثري والسبق الزمني فاللاحق هو السارق والأصل الأول هو المبدع ، بينما يعتمد التناص على المنهج الوظيفي ولا يهتم كثيرا بالنص الغائب، ثانيا: على مستوى القيمة ، فناقد السرقة الأدبية إنما يسعى لاستنكار عمل السارق وإدانته ، في حين أن ناقد التناص قصد إظهار البعد الإبداعي في النتاج، وثالثا: على مستوى القصدية ، ففي السرقة تكون العملية قصدية واعية، بينما في التناص تكون لا واعية " [2].

ويظهر لي أن القليل من النقاد القدامى يسعون لإدانة السارق وربما يرجع بعضها لأهواء شخصية، ولكن أكثرهم يرون أنه لا ضير من أخذ الشعراء من بعضهم وخاصة المعاني والألفاظ المتداولة بين الناس ، كابن رشيق ، وعبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكري ، ولا خلاف في أن التناص يصدر من الأديب عن وعي ولا وعي.

---

(1) التناص نظريا وتطبيقيا ، تأليف الدكتور / أحمد الزغبي ، طبع / مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ص١٩.

(2) التناص في الشعر العربي المعاصر التناص الديني نموذجا، إعداد / ظاهر محمد هزاع الزواهرة، إشراف أد/ إبراهيم عبد الرحيم السعافين، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، = كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ٢٠١١م ، ص٢٩.

- **مفهوم التناص**:

وردت كلمة التناص في لسان العرب بمعنى: الاتصال، والتداخل، والازدحام: "يقال نَصَّصْتُ المتاعَ إذا جعلت بعضه على بعض ، وكل شيء أظهرته فقد نَصَّصْتُه ، وقد نَصَّصْتُ ناقتي : رفعتها في السير ، نَصَصْتُ الشيء رفعته ، وقيل نصَصْتُ الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده " [1]، وهذه المعاني تقترب من مفهوم التناص بمعناه الحديث.

والتناص " ترجمة للمصطلح الفرنسي intertext حيث تعني كلمة intert التبادل ، بينما تعني كلمة text بمعنى النص ، وهو متعدد ويعني نسج أو حبك ، وبذلك يعني معنى interte التبادل النصي ، وقد ترجم إلى العربية بالتناص الذي يعني تعالق النصوص بعضها ببعض" [2] .

ويقصد بتعالق النصوص تداخلها بحيث يأخذ النص اللاحق(النص الحاضر الجديد) من النص السابق (النص الغائب السابق) ، حيث يقوم الأديب باستدعاء نص أدبي غائب وتوظيفه في نصه الجديد بشكل فني متميز يزيدها إيحاء وتأثيرا .

وقد أثارت ظاهرة التناص Intertextuality اهتمام الكاتبة الفرنسية " جوليا كريستيفا "، فذكرت أنه: " ذلك التقاطع داخل نص مأخوذ من نصوص أخرى ، فكل

---

(1) لسان العرب لابن منظور مادة نصص .

(2) التناص في شعر الرواد دراسة ، تأليف : أحمد ناهم ، الناشر: دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،1428 هـ/ ٢٠٠٧م ، ، ص ١٩ .

نص هو امتصاص لنص آخر أو تحويل عنه " [1]، وهو " أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها " [2].

ففهم النص الحاضر يتوقف على معرفة النص الغائب الذي تم إزاحته وإحلال النص الحاضر مكانه ، حيث يبقى أثر النص الغائب في النص الحاضر.

ومهمة البحث عن النص الغائب مهمة شاقة ، ومن هنا تأتي حتمية التناص ، ويصبح القارئ فاعلا في النص لا تابعا له من خلال استثمار معارفه وتوقعاته والوقوف على الترابط والاقتباسات ، ثم يأتي التأويل باعتباره عنصرا حيويا متمما لعملية القراءة ، مرتبطا أساسا بالمفهوم المفترض للنص [3].

ومن هنا تبرز جمالية النص حينما يوظف الأديب التناص في نصه توظيفا فنيا، ويحاول المتلقي معرفة التداخل بين النصوص معتمدا على رحابة التأويل.

وتكمن وظيفة التناص "في تغيير وتحويل دلالة تبعث في النص الجديد طاقات تأثيرية جديدة تبتعد به عن الدلالات المباشرة والسطحية ، فتشكل العلاقة الناشئة بين النصين مظهرا جماليا دالا ، يضيء لنا بعض أساليب استثمار النصوص وتوظيفها في إنتاج الإبداع الفني" [4].

---

(1) علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، تأليف : عز الدين المناصرة، الناشر : مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، شركة المدينة لأعمال الطباعة ، ص ١٣٩ .

(2) التناص في شعر الرواد دراسة ، تأليف : أحمد ناهم، ، ص٢٠.

(3) انظر تجليات التناص في شعر عفيف الدين التلمساني، قدمت استكمالا لدرجة الماجستير، إعداد الطالب / عبد الحميد جريوي ، إشراف الدكتور / عبد القادر دامخي ، ص٢٥ .

(4) التناص في شعر عماد الدين الأصبهاني ، قدمت استكمالا لدرجة الماجستير ، بكلية الدراسات العليا ، في جامعة الخليل ٢٠١٣ ـ ٢٠١٤م ، إعداد الطالب / محمد إبراهيم محمد أبو نعمة ، إشراف الدكتور / حسام التميمي، ص٧ .

*** مفهوم التناص في النقد العربي الحديث:**

ـ تتعدد رؤى النقاد المحدثين للتناص ، فمنهم من يراه أن: " يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة ، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي ، ليتشكل نص جديد واحد متكامل " [١].

ـ ومنهم من يرى أنه " الفضاء الذي يتحرك فيه القارئ الناقد بحرية وتلقائية، معتمدا على مخزون من المعارف والثقافات؛ وذلك بإرجاع النص إلى عناصره الأولى التي شكلته وصولا إلى فك شفراته " [٢].

ـ وهناك من يرى أنه " ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح " [٣].

ونظرا لأن هذه الظاهرة تعتمد على ثقافة المتلقي وسعة معرفته ـ للكشف عنها وتوضيح أبعادها . لذا يتحتم على دارس التناص ومتلقيه أن يلم بالكثير من العلوم والمعارف كعلم اللغة وعلم التاريخ ، وعلم الإنسان الثقافي (الأنثربولوجيا) ، وعلم التاريخ وعلم النفس وعلم الجمال ، وغيرها .

---

(١) التناص نظريا وتطبيقيا ، تأليف الدكتور / أحمد الزغبي ، ص١٩.

(٢) منهج التناص (مدخل في التنظير ودروس في التطبيق) ، تأليف الدكتور / عبد العاطي كيوان ، الناشر/ مكتبة الآداب ، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م)، ص٢١.

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، تأليف الدكتور / محمد مفتاح، الناشر : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م، الطبعة الثانية ١٩٨٦م ، الطبعة الثالثة يوليو ١٩٩٢م ، ص١٣١.

ـ أشكال وأقسام التناص:

ينقسم التناص إلى : مباشر(ظاهر) ، وغير مباشر (خفي) ، " فالتناص المباشر هو ما استحضره الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الأدبي سواء أكان هذا التناص نصا تاريخيا أم دينيا أم أدبيا، حيث يقتبس الكاتب النص بلغته التي ورد فيها مثل: الآيات، والأحاديث، والأشعار، والقصص، أما التناص غير المباشر فإنه يستنتج استنتاجا ويستنبط استنباطا من النص ، وهو ما يسمى بتناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية؛ التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها أو نسبتها إلى أصحابها، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته ، ولهذا تستنبط استنباطا وربما تخمن تخمينا [1].

فالتناص المباشر يكون ظاهرا بارزا إما عن طريق الاقتباس أو التضمين، أما التناص غير مباشر يكون خفيا يحتاج إلى إعمال الفكر لفك الشفرات وفهم الإشارات ، ويعتمد على مخزون ثقافي واسع ومعارف متنوعة، ويدل على براعة الأديب ومقدرته الفنية.

ومن النقاد المحدثين من جعل التناص في قسمين من خلال علاقة المتلقي بالنص المتداخل، والقسمان هما: التناص الاعتباطي والتناص الواجب ، فالتناص إما أن يكون اعتباطيا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي ، وإما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه "[2]، ومن الأفضل تسمية التناص الاعتباطي بالتلقائي .

وهناك من قسم التناص من خلال علاقة الأديب بالنص المتناص إلى التناص الداخلي والخارجي ، فيقصد بالتناص الداخلي أن يمتص الشاعر آثاره السابقة أو

---

(1) انظر التناص نظريا وتطبيقيا ، تأليف الدكتور / أحمد الزغبي ، ، ص٢٠.

(2) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، تأليف د / محمد مفتاح ، ص١٣١.

يحاورها أو يتجاوزها ، ويقصد بالتناص الخارجي أن يمتص الشاعر نصوص غيره أو يحاورها أو يتجاوزها بحسب المقام والمقال [١] .

فالتناص هو العلاقة التي تربط بين النص الحاضر وغيره من النصوص الغائبة الأخرى ، والكشف عن هذه العلاقة عملية ليست يسيرة ، خاصة إذا كان النص محكما ؛ ولكنها لا تخفى على القارئ الواسع المعرفة الحصيف الذي بإمكانه أن يعرف مصدر النص الأصلي ، فإذا تمكن من معرفة أوجه التشابه التي تكون بين النصوص ، وكشف عن الطرق والأساليب التي من خلالها تتجلى بعض النصوص الأصل في النصوص الحاضرة _ فالنص الحاضر يحمل آثار النص الغائب وهذا ما يسمى بالترسيب _ تحقق الهدف من التناص.

ـــ قوانين و مستويات التناص:

تتفاوت مستويات التناص من نص لآخر حسب المخزون المعرفي للأديب ، ومدي إلمامه بالعلوم والثقافات المختلفة كالتاريخ، والفنون، والعلوم، والآداب .

وهناك مستويات كثيرة تحدد العلاقة بين النصوص أهمها:

١ ـ التناص الاجتراري : والاجترار "هو تكرار للنص الغائب دون تغيير أو تحوير ، وهذا القانون يسهم في مسخ النص الغائب ؛ لأنه لم يطوره ولم يحاوره واكتفى بإعادته كما هو أو مع إجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره" [٢] .

فهذا المستوى يمجد النص الغائب السابق ولا يحدث فيه تغييرا كبيرا، ويكاد يكون النص الحاضر تابعا له إن لم يكن مقلدا له.

---

(١) المرجع السابق ، ص١٢٥.

(٢) التناص في شعر الرواد دراسة ، تأليف : أحمد ناهم ، ص ٥٠ .

٢ . التناص الإشاري : وهو "أن يستحضر الأديب نصا أيا كان نوعه عن طريق الإشارة المركزة ، وقد تكون هذه الإشارة بلفظة واحدة أو بلفظتين، بحيث تكون هذه الإشارة بمثابة الاستحضار الكامل لذلك النص، على أن لا يكون هناك حضور لفظي كامل أو محور أو جزئي في النصوص اللاحقة "[١] ، وهذا المستوى من التناص وجدته بكثرة في شعر ابن الطلبه فأضفته ضمن مستويات التناص ، وفيه يشير الشاعر بلفظة أو أكثر إلى النص الغائب ، وهذا المستوى يعتمد بدرجة كبيرة على ثقافة المتلقي وإلمامه بالعلوم والمعارف كما أنه يمتاز بالإيجاز.

٣ . التناص الامتصاصي : وهو "مرحلة أعلى من قراءة النص الغائب ، وهو ينطلق أساسا من الإقرار بأهمية النص الغائب وقداسته، فيتعامل وإياه كحركة وتحول، لا ينفيان الأصل، بل يسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجديد، ومعنى هذا الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقده ، فهو يعيد صوغه فقط وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها" [٢] .

وفي هذا المستوى يحدث الأديب تغييرا يسيرا في صياغة النص الغائب ، ويوظفه في نصه الجديد للتعبير عن الواقع المعاش من خلال امتصاص النص الغائب.

٤ . التناص الحواري : وهو أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب ، لا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل النص بل يغيره ، وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية علمية [٣] .

([١]) التناص في شعر حسان بن ثابت الأنصاري ، تأليف الباحثة : بشائر أمير عبد السادة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، المؤتمر العلمي الثاني لكلية التربية ٢٠٠٨م .

([٢]) علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ، تأليف : عز الدين المناصرة ، ص ١٥٧ .

([٣]) انظر المرجع السابق ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

فالحوار تغيير وقلب وتحويل وتبديل للنص الغائب، وهذا المستوى يعتمد على إبداع الأديب، وقدرته الفنية على الخروج عن المألوف والمعتاد.

ذكر "محمد بنيس" [1] أن مستويات التناص ثلاثة : وهي الاجترراري والامتصاصي والحواري ، ورأيت أن أضيف التناص الإشاري بوصفه مستوى للتناص يفهم من الإشارة ببعض الألفاظ ويحتاج إلى إعمال فكر ، وهذه المستويات الأربعة قد اعتمدت عليها في رصد ظاهرة التناص في شعر ابن الطلبه ؛ لاتفاق أغلب النقاد والدارسين عليها ، ولوضوح تتبع أثرها في النصوص .

مستويات التناص في شعر محمد بن الطلبه:

وبعد القراءة المتأنية لديوان ابن الطلبه وجدت التناص بأنواعه وأقسامه ومستوياته (الاجترراري ـ الامتصاصي . الإشاري ـ الحواري) في شعره ، فالتناص يدل على سعة ثقافة الشاعر ، وغزارة علمه ، وتمكنه من العلوم والآداب والفنون ، أضف إلى ذلك أنه " باستلهام ابن الطلبه للتراث يعمل على تجدد الروابط العرقية والثقافية ؛ التي يخشى عليها المرء صولة التباعد والانعزال في ركن من البلاد ، قد يحصل فيه من الاحتكاك بغير العرب ومخالطتهم ؛ مما يثير مخاوف الغيورين على هوية قومهم ، فيزداد الشاعر تشبثا بما يصون تلك الهوية ويحميها " [2] . لذا أكثر ابن الطلبه من التناص بأنواعه ومستوياته فتناص مع القرآن الكريم ومع الحديث النبوي الشريف ومع الأشعار ومع النثر، كالحكم والأمثال ، والشخصيات والأحداث التاريخية ، وهذا ما سأتناوله في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

([1]) انظر المرجع السابق ، ص ١٥٧

([2]) مقدمة ديوان محمد بن الطلبه ، ص٥٧ ـ ٥٨.

المبحث الأول

التناص الاجتراري

التناص الاجتراري يعد المستوى الأول من مستويات التناص ، وفيه يعيد الأديب النص الغائب دون تغيير أو تغيير طفيف من منطلق تمجيد القديم [١]، والأديب يأتي به للاستشهاد وإعطاء مصداقية لشعره وتأييدا لما يريد توصيله للمتلقي من أفكار وآراء، وهذا النوع قد وجد بكثرة في شعر ابن الطلبه فتناص مع القرآن الكريم ومع الحديث النبوي الشريف ومع الأشعار ومع النثر .

وغالبا ما يأتي هذا المستوى بكثرة من القرآن الكريم المصدر الأول الذي يعتمد عليه أغلب الأدباء ، فهو أسمى ما يحتذى به أسلوبا ومعنى وفكرا ، لأنه كلام الله . تعالى . المعجز ، قمة البيان، فالأخذ من القرآن الكريم يضفي على نصوصهم الأدبية بهاء وجمالا وتأثيرا ، أضف إلى ذلك الجمال اللفظي والأسلوبي .

ومن التناص الاجتراري مع القرآن الكريم ؛ قوله يرثي الفقيه حبيب الله بن عبد الله (بحر الرمل): [٢]

كُـلُّ عَـيْشٍ مَـا تَرَاخَـى لِأَجَـلْ ∴ وَمَـآلُ المَـرْءِ مَـوْتٌ حَيْـثُ حَـلّ

كُـلُّ شَـيْءٍ هَالِـكٌ مِمَّـا تَـرَى ∴ غَيْـرَ وَجْـهِ اللهِ مَـنْ عَـزَّ وَجَـلّ

وفي سياق الحديث عن الرثاء يحتاج الشاعر إلى استحضار أدلة وبراهين تدل على الصبر والرضا بقضاء الله . عز وجل . وقدره ، لذا استدعى الشاعر من القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، ففي البيت الأول تناص مع قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ

(١) سبق ذكره في البحث في الحديث عن مستويات التناص ، ص١٧ .

(٢) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٣٣

﴾[1]، وفي البيت الثاني تناص مع قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2] ، ليؤكد بهما فكرة أراد نقلها للمتلقي ، وهي أن حياة أي كائن حي على هذه الأرض مهما طالت فلا لابد لها من زوال وفناء إلا وجه الله عز وجل؛ فيرضى بقضاء الله وقدره.

ومما تناص فيه الشاعر مع القرآن الكريم قوله(بحر الطويل) : [3]

وَفِتْيَانُ صِدْقٍ صَابِرُونَ لِرَبِّهِمْ ∴ يُحَامُونَ عَنْهُ وهُوَ عَنْهُم يُنَاضِلُ
يَخُشُّونَ حَوْمَاتِ الوَغَى بِنُفُوسِهِمْ ∴ إِذَا هَابَها الثَّبْتُ المِحَشُّ المُبَاسِلُ
أَلَا يَا لَأنصارِ الإلهِ لدينِهِ ∴ إِلَامَ التَّوانِي مِنْكُمُ والتخاذُلُ
وإِنَّكُمُ إِنْ تَنْصُرُوهُ يَكُنْ لَكُمْ ∴ نَصيرًا أَلَا نِعْمَ النَّصِيرُ الْمُجَادِلُ
وإِنَّكُمْ إِنْ تَنْصُرُوهُ نُصِرْتُم ∴ لَعَمْرِي فَلَا عَجْزٌ ولَا هُوَ خَاذِلُ

في هذه الأبيات يحرض ابن الطلبه قومه على الجهاد في سبيل الله لما رأي أن الإسلام انحسر لتخاذل المسلمين ورضاهم بالاستكانة والذل، وظهر في المجتمع الخلاعة والمجون ، ولا حل لذلك سوى الدفاع عن الإسلام بالجهاد، فاستدعى الكثير من الآيات القرآنية التي تؤيد رأيه وتقنع المتلقي ؛ بأنهم إذا جاهدوا فنصرهم محقق من عند الله . تعالى . كما قال الله . عز وجل . : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ [4]، وهذا الوعد بالنصر للمؤمنين الصادقين الذين يجاهدون في سبيل الله ، فتناص اجترارا مع الآية القرآنية :﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(1) سورة آل عمران ، آية ١٨٥
(2) سورة القصص ، آية ٨٨
(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .
(4) سورة محمد ، آية ٧

رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[1] فهؤلاء يدافع الله عنهم كما قال الله عز وجل﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[2] ، وهـــــذا التداخل بين النص القرآني والأبيات كان له أثره في إضفاء جو من المصداقية .

ومن التناص الاجترارى قوله عن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر(بحر الطويل) : [3]

يَقُولُونَ مرْضَى هلْ سَمِعْتَ بِأُمَّةٍ ∴ بِهَا مَرَضٌ قدْ عَمَّهَا لَا يُزَايِلُ ؟

نعَمْ مرضُ القَلْبِ المُعَدُّ لأهلِهِ ∴ بِهِ درَكُ النارِ الحِرَارُ الأسَافِلُ

وأَمَّا تكَالِيفُ الرِّجَالِ الَّتِي أَتَتْ ∴ مِنَ اللهِ آياتٌ بهِنَّ نَوازِلُ

قَدْ أَغْفَلُوهَا مُسْتَحِلِّينَ تَرْكَهَا ∴ وقَدْ أهْمَلُوهَا فهي مِنْهمْ بَواهِلُ

لخَانُوا أماناتِ الإلهِ وعَهْدَهُ ∴ ومَا اللُهُ عمَّا يعملُ القومُ غافِلُ

وصف الشاعر المنافقين بأنهم مرضى القلوب؛ لأنهم تركوا وتهاونوا فيما أنزله الله . عز وجل . في كتابه العزيز من تعاليم وواجبات ، فتناص في البيت الثاني مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[4]، واستدعاها ليؤكد أن عاقبة هؤلاء وخيمة فجعلهم في الدرك الأسفل من النار ، واستدعي في البيت الأخير قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ

---

(1) سورة الأحزاب ، آية ٢٣

(2) سورة الحج ، آية ٣٧

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٤٥

(4) سورة النساء ، آية ١٤٥ .

ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]، فالشاعر اكتفى بإعادة النص القرآني مع تغيير يسير ليقنع المنافقين الخائنين لأمانات الله وعهده أن يرجعوا عن هذا الطريق ؛ فالله ـ عز وجل ـ ليس بغافل عما يصدر منهم من أقوال وأفعال.

وظف الشاعر التناص في نصح ابنه قائلا(بحر الطويل) : [2]

وَبِالحَسَنِ ادْفَعْ سَيِّئًا فَإِذَا الَّذِي ∴ يُعَادِيكَ كَالمَوْلَى الأَحَمِّ وَأَرْحَمَا

وَلَا تَقْرَبَنَّ الظُّلْمَ وَالبَغْيَ فَاطرحْ ∴ فَغِبُّهُمَا قَدْ كَانَ أَرْدَى وَأَشْأَمَا

ومَا الْبِرُّ إِلَّا اليُمْنُ والعدلُ والتُّقَى ∴ ومَا الشُّؤْمُ إِلَّا أن تخُونَ وتَأْثَمَا

في هذه الأبيات يدعو الشاعر إلى الالتزام بما أمر الله ـ عز وجل به ـ من التحلي بالأخلاق الحميدة ، فتناص اجترارا في البيت الأول مع الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[3]، وفي البيت الثاني تناص مع الآية الكريمة ﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4] ، ففي مقام النصح والإرشاد يدعم كلامه بآيات من القرآن الكريم غاية الفصاحة والبلاغة ؛ ليستميل المتلقي ويدعوه إلى الإذعان والطاعة.

---

(1) سورة إبراهيم ، آية ٤٢ .

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧

(3) سورة فصلت ، آية ٣٤

(4) سورة النحل ، آية ٩٠

وتحقق التناص الاجتراري في نصح قومه ، فقال(بحر الخفيف) : [1]

آلَ يعقـــوبَ شَـــمِّرُوا للمعَـــالِي ∴ واسْـتَعِدُّوا لِمَـا تَجِـيءُ اللَيَـالِي

وأَعِـــدُّوا لِكُـــلِّ خَطْـــبٍ مُلِـــمٍّ ∴ عُـــدَّهُ مِـــنْ عَـــزَازةٍ ونَـــوالِ

وتَواصَـوْا بـالحَقِّ والصَّـبْرِ وابْغُـوا ∴ فِي العَفَافِ الغِنَـى علَـى كُلِّ حَـالِ

في الأبيات السابقة يحث قبيلته آل يعقوب على الجد والتشمير للمعالي من الأمور والاستعداد لمواجهة ما يمر بهم من أزمات ومحن ، ويطلب منهم الالتزام بالصبر والتمسك بالحق ، فتناص الشاعر في البيت الأخير مع قول الله عز وجل : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [2] وقد أجرى هذا التداخل بين النص القرآني والشعري ؛ ليوضح أن السعي والجد لطلب المعالي يلزمه الصبر والعمل، وقد أكثر الشاعر التناص مع القرآن الكريم؛ لأنه كان حافظا للقرآن فاهما معانيه عارفا بأحكامه ، فقد نشأ في بيت دين وعلم، والقرآن الكريم كلام الله المعجز والمثل الأعلى في الفصاحة والبيان ، حيث يفيض بدلالات ثرية ، وبمعانٍ متجددة فياضة ، وبألفاظ بليغة عذبة .

وكما تناص الشاعر ابن الطلبه مع القرآن الكريم تناص مع الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني في التشريع الإسلامي ، وقد استدعاه وضمنه أشعاره لقوة دلالته في نسيجه الشعري ، وإعطائه جمالا وتأثيرا.

فمن التناص الاجتراري مع الحديث النبوي الشريف قوله ينصح ابنه أحمد (بحر المتقارب): [3]

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٦٠

(2) سورة العصر ، آية ٣

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٣٢

وَخَـــالِقْ بِلُطْـــفٍ جَمِيـــعَ الـــوَرَى ∴ وَمِـــنْهُمْ أَقِـــلْ عَثْـــرَةَ العَـــاثِرِ
وَصِـــلْ قَاطِعًـــا وَاعْـــفُ عَـــنْ ظَـــالِمٍ ∴ وَوَاسِ بَنِـــي الْعَـــمِّ فِـــي النَّـــائِرِ[1]

تناص الشاعر في البيت الأول مع الحديث الشريف الذي جاء فيه عنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، واتبع السيئة الحسنة تمحها وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " [2] وفي البيت الثاني تناص مع الحديث الشريف الذي جاء فيه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[3]، وقد استدعى الشاعر الحديثين الشريفين ليقنع ابنه بأن يعامل الناس بلطف ورفق ويعفو عمن أساء إليه ويصفح عن زلاتهم ويساعدهم على التخلص منها ، ويحسن إلى الأقارب ويسأل عنهم ويواسيهم عند نزول المصائب.

---

(1) النائر : الملقي بين الناس الشرور ، من النائرة وهي الفتنة والعداوة والبغضاء(تهذيب اللغة للأزهري المتوفي ٣٧٠هـ ، المحقق : محمد عوض مرعب ، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، جـ ١٥ ، ص١٧٠).

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفى ٢٤١هـ، المحقق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون ، إشراف / عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م) رقم الحديث ٢١٥٣٦، جـ ٣٥، ص ٤٢٥ .

(3) صحيح مسلم ، الكتاب الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفي ٢٦١هـ ، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم الحديث ٢٥٥٧، جـ ٤، ص ١٩٨٢ .

ومما تناص فيه ابن الطلبه مع الحديث النبوي الشريف قوله في نصح قومه (بحر الطويل): [1]

فَهَلَّا علَى الدِّينِ الحنيفِ بَكَيتُمُ ∴ فَلَا رَقَأَتْ تلكَ الدُّموعُ الهَوامِلُ

فَهَذَا وَمَاذَا قَدْ عَمِلْتُمْ فَشَمِّرُوا ∴ وَلَا تَدْفَعُ الرِّجْسَ الأَمَانِي الأَبَاطِلُ

فالشاعر يدعو إلى العمل والتشمير عن ساعد الجد وعدم الاتكال على الأماني الزائفة والركون إليها؛ فتناص مع الحديث الشريف –مع تغيير في الألفاظ لكن المضمون واحد _ الذي جاء فيه عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ، مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» [2] ، فالشاعر وظف الحديث الشريف لينبه قومه إلى أن عمل الإنسان الخير ينفعه بعد الموت ؛ فعلى الإنسان أن يسعى ويجتهد في حياته ويدخر أعمالا للآخرة.

ومن التناص مع الحديث النبوي الشريف قوله(بحر الطويل): [3]

لَخَبَّرَنَا الهَادِي المُهَيمِنُ أَنَّه ∴ سَيُدْرِكُ هَذا الدينَ غَيٌّ وبَاطِلُ

وَأَنَّا سَنَلْقَى بَعْدَهُ سنَنَ الرَّدَى ∴ كَمَا سَنَّ مِنْ قَبْلُ القرونُ الأوَائِلُ

وَأَنْ سَيَعُودُ الدِّينُ غُرْبًا كَمَا بَدَا ∴ وَأَمْرُ بَقَايَا النَّاسِ لِلْكُفْرِ وَائِلُ

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٤٧ .

(2) سنن ابن ماجه ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ، المحقق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة العلمية، الطبعة الأولى(١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، باب ذكر الموت والاستعداد، رقم الحديث ٤٢٦٠، جـ ٢، ص ١٤٢٣ .

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٥٣ .

في هذه الأبيات تناص الشاعر اجترارا مع الحديث الشريف الذي خبرنا فيه رسولنا الكريم ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بما سيؤول إليه هذا الدين الحنيف ، فعَنِ ابْنِ عُمَر ـ رضي الله عنهما ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا» [1]، وقد استدعى الحديث الشريف ليحثهم على التمسك بالدين إلى آخر حياتهم .

وكما تناص الشاعر مع الحديث الشريف؛ تناص اجترارا مع الشعر العربي فالشاعر المتميز هو من يستفيد مما أنتجته قرائح الشعراء السابقين ويضمنها أشعاره ، ويطوعها لتتناسب مع مقتضيات ومتطلبات عصره ؛ محاولة منه في إبقاء التراث حيا من جهة ، وإخراج شعره في صورة جديدة تبهر المتلقي وتثير انتباهه من جهة أخرى.

فمن التناص الاجترازي مع الشعر قوله في الرثاء(بحر الرمل) : [2]

أَمِنَ الدهرِ تشكي إِذْ نَزَلْ ∴ بِكَ منهُ حادثٌ غيرُ جَلَلْ ؟

أَمِنَ الدهرِ تشكي بَزَّهُ ∴ حَرْزَةَ النفسِ وأمواهَ المُقَلْ ؟

أَمِنَ الدهرِ تشكي أنَّهُ ∴ ليسَ بالمُعْتِبِ أنْ هوَ فَعَلْ ؟

كرر الشاعر جملة (أمن الدهر تشكي) ليقدم فكرة من خلال هذه الأبيات ، وهي أن الدهر لا يعتب مستعتبا ، فالدهر لا يبالي بما ينزل بالإنسان من نكبات ومصائب

([1]) صحيح مسلم ، حديث التعزية ، باب البكاء على الميت ، رقم الحديث ١٤٦ ، جـ١، ص ٣١٣ .

([2]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٣٣ .

في أعز وأغلى ما عنده مهما سحَّ من دموع ، وهذه الفكرة سبقه فيها الشاعر "أبو ذؤيب الهذلي" في قصيدته العينية الشهيرة التي رثى فيها أبناءه(بحر الكامل): [1]

أَمِـنَ المَنـونِ وريبهـا تتوجَّـع ∴ والـدَّهرُ لـيسَ بِمُعْتِـبٍ مـن يَجْـزَعُ

فاجتر الشاعر بيت "أبي ذؤيب الهذلي" حينما مات أولاده السبعة، ولم يبق منهم إلا طفل واحد ليؤكد ما ذهب إليه، فكلا الشاعرين ألمت بهما تجربة حزينة فعبرا عن هذا التعبير المؤلم، فهذا التداخل والتفاعل بين النصين يثير انتباه المتلقي وعاطفته.

ومن التناص مع الشعر قوله يمدح قومه بني عامر بالشجاعة(بحر الخفيف): [2]

بِنَـدَاهُمْ شُـمُّ الْمَنَـاخِرِ صِـيدٌ ∴ مُحْمِـدٌ جَـارُهُمْ عَزِيـزُ الجَنَـابِ

بِبَهَالِيـلَ[3] كَالْمصَـاعِبِ[4] زُهْـرٍ ∴ مِـنْ كُهُـولٍ جَحَـاجِحٍ[5] وَشَـبَابِ

فالشاعر وصفهم بأنهم أصحاب السيادة والرفعة والكرم، وشبههم بالجمال المصاعب في القوة والشجاعة، وقد اجترَّ هذا الوصف من قول النابغة (بحر الطويل): [6]

---

(1) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، تحقيق وشرح الدكتور : أنطونيوس بطرس ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ، طبع / دار صادر بيروت ، ص١٢ .

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٣٣

(3) البهاليل : جمع البهاليل، والبهلول: السيد الجامع لصفات الخير(لسان العرب مادة بهل).

(4) المصاعب : جمع المصعب والمصعب من الإبل الفحل الذي يعفى من الركوب (لسان العرب مادة صعب).

(5) جحاجح : جمع جحجح والجحجاح السيد السمح الكريم (لسان العرب مادة جحجح).

(6) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، طبع: دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ص ٣١.

إذَا اسْـتُنْزِلُوا عَـنْهُنَّ للطَّعـن أرقلـوا ∴ إلـى الموتِ إرْقـالَ الجمـالِ المصـاعبِ

فهـؤلاء الفرسـان الشـجعان لا ينتظـرون مجـيء الأعـداء بـل ينزلـون عـن خيـولهم ويبادرون بالطعن بسرعة كما تعدوا الجمال المطلقة غير المربوطة ، وهذه الصورة توحي بالشجاعة البالغة واستقبال الموت بصدورهم .

ويواصل الشاعر مدحه لبني عامر، فيقول (بحر الخفيف): [1]

مِـنْ بَنِـي عـامرٍ هُـمُ القـومُ كُـلُّ ال ∴ قــومِ والــرأسُ والــذُّرَى والرَّوابِــي

دِيــنُهمْ حِفْــظُ ديــنِهِمْ وعُلَاهُــمْ ∴ وعُلــــــومِ الكتــــــابِ والآدابِ

لَا هُـمْ يَفْرَحُـونَ لِلْخَيْـرِ إنْ مَـسَّ ∴ وَلَا يَجْزَعُــونَ عِنْــدَ المُصَــابِ

يفتخر بقومه فجعلهم كل القوم لما لهم من صفات العزة والكرامة؛ جاءت من تمسكهم بدينهم والالتزام بتعاليمه ، وفي البيت الأخير وصفهم بالرضا والقبول والاتزان فلا يفرحون عند نزول الخير ولا يحزنون عند نزول المصائب، وهذا يشبه قول طرفة بن العبد (بحر الرمل): [2]

إنْ نُصــــادِفْ مُنْفِســــا لا تُلْفِنــــا ∴ فُــرُحَ الخيــرِ، ولا نَكبــو لِضُــرّ

تناص الشاعر اجترارا مع بيت "طرفة" للإشادة بسماحة وأخلاق قومه ، فهم لا يجزعون عند نزول المصائب لعلمهم أن الزمان يتقلب من خير إلى شر ومن شر إلى خير وهكذا فلا يبقى على حال ، وأن ما ينزل بهم من خير وشر هو من عند

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٣٤

(2) ديوان طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي المتوفي ٥٦٤م ، المحقق / مهدي محمد ناصر الدين ، الناشر / دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٤٣ .

الله فعليهم الرضا بقضاء الله والصبر عليه ؛ كما قال ابن الطلبه في الرثاء (بحر الرمل): [1]

إنْ جزعنـــا فَلِخَطْـــبٍ مُجْـــزِعٍ ∴ أوْ صَـبَرْنا فلنَـا الصَـبْرُ الأجَـلّ

قد أخذ معنى البيت من قول "أعشى باهلة"(بحر البسيط) : [2]

فـإنْ جَزَعْنَـا، فـإنّ الشّـرّ أَجْزَعَنَـا ∴ وَإنْ صَـبَرْنَا، فَإنَّـا مَعْشَـرٌ صُـبُرُ

تناص الشاعر اجترارا مع البيت السابق، وأعاد صياغة البيت مع تغيير يسير ليؤكد أن الحزن يكون لمصيبة كبيرة، ويفتخر بالقدرة على تحملها والصبر عليها ، وزاد "ابن الطلبه" أن المقصود بالصبر الأجل الأعظم وهو عند الصدمة الأولى ، وألقى بهذا التناص كثافة وجدانية على نصه لإبهار المتلقي ولفت انتباهه.

ومن التناص الاجترارى مع الشعر ، قوله في الغزل (بحر الطويل): [3]

وَكَشْـحٍ لَطِيـفٍ كَالجَـدَائِلِ طَيُّـهُ ∴ كَلَمْسِ الدِّمَقْسِ[4]ذَاتَ خَلْقٍ مُعَذْلَجِ[5]

يتغزل الشاعر بحبيبته فيذكر أن خصرها دقيق لطيف ، وجسمها ناعم كالحرير

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٣٨ .

(2) جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفي ١٧٠هـ ، حققه / علي محمد البجادي ، الناشر نهضة مصر للطباعة ، ص ٥٧٥

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٨٤

(4) الدمقس : الإبريسم ، وهو الحرير الأبيض (لسان العرب مادة دمقس).

(5) المعذلج : الناعم ، وامرأة معذلجة : حسنة الخلق ، ضخمة القصب ، والمعذلج : الممتلئ الخلق (ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٨٤) .

وريـة الجسم ، وهذا الغزل يشبه غزل "امرئ القيس" (بحر الطويل): [1]

وَكَشْـحٍ لطيـفٍ كالجـديلِ مُخَصَّـرٍ ∴ وَسـاقٍ كـأُنْبوبِ السّـقيّ الْمُـذَلَّلِ

استعار الشاعر الأوصاف التي ذكرها "امرؤ القيس" لحبيبته ، ووظفها في بيته توظيفا فنيا لإظهار جمال محبوبته .

ويواصل الغزل عن طريق التناص ، فيقول(بحر الطويل) : [2]

فَلَـوْ عَرَضَـتْ يَومًـا لِراهِـبِ بِيعَـةٍ ∴ حَلـيمٍ عَلَـى عَاداتِـهِ مُتَحَـرِّجِ

إِذًا لَأَهَـلَّ سَـاجِدًا وَلَخَالَـهُ ∴ رَشَادًا مَتَى يُخْذَلْ يَخِنَّ وَيَنْشِجِ[3]

فالشاعر هنا يري أن حبيبته لو رآها عابد لسجد من شدة جمالها، وأخذ في البكاء الشديد بصوت عالٍ، فاستدعى قول "النابغة الذبياني" الذي وصف فيه المتجردة زوجة النعمان أجمل نساء زمانها (بحر الكامل): [4]

لـو أَنَّهـا عَرَضَـتْ لأَشْـمَطَ راهـبٍ ∴ يـدعو الإلَـهَ، صَـرورَةٍ، مُتَعَبِّـدِ

لَصَـبَا لبَهجتِهـا وطِيْـبِ حَـديثها ∴ ولَخَالَـهُ رُشْـداً، وإنْ لـم يَرشُـد

وتناص اجترارا مع معنى بيت "النابغة" ووصف به حبيبته ، وهذا التناص يشد انتباه المتلقي ، ويضيف لنصه قدرا كبيرا من الانفعال والإيحاء.

---

(1) ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي المتوفي ٥٤٥ م ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، ، الناشر / دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ، ص٤٤ ، شرح المعلقات السبع للزوزني، ص ٥٦.

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٨٤

(3) يخن: يبكي بصوت فيه غنة ، وقيل هو رفع الصوت بالبكاء(لسان العرب مادة خنن). نشج الباكي : غص بالبكاء من غير انتحاب ، والنشيج الصوت المتردد في الصدر(لسان العرب مادة نشج).

(4) جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ص ٧٦

ومن التناص الاجتراري مع الشعر قوله في الغزل (بحر الكامل): [1]

منـعَ المَنَـامَ فلـمْ أَنَـمْ فـي النُّـوَّمِ ∴ خبـرٌ جَـواهُ قـدْ تَمَخَّـخَ أعْظُمِـي

لمَّـــا أتـــانِي أنَّ ميـــةَ دونَهـــا ∴ حالتْ زواجر فـي الكتـابِ المُحْكمِ

لـوْ غيـرُ ذلـكَ حـالَ دونَ مزَارِهـا ∴ لرأيـتَ كيـفَ مصَـالَتِي وتقَحُّمِـي

" يَا شاةَ ما قَنَص لمنْ حلَّتْ لـهُ ∴ حَرُمَـتْ علـيَّ ولَيْتَهـا لـمْ تَحْـرُمِ"

في هذه الأبيات يشكو الشاعر من حرمانه من النوم ؛ لما أتاه خبر هزه وجن جنونه ؛ وهو أن حبيبته "مية" حرمت عليه، ولولا ذلك لما تخلى عنها ، وضمن بيت "عنترة بن شداد" حين حرمت عليه حبيبته لأنه عبد، والعبد لا يتزوج حرة (بحر الكامل): [2]

يَـا شـاةَ مـا قَـنَص لمـنْ حلَّـتْ لـهُ ∴ حَرُمَـتْ علـيَّ ولَيْتَهـا لـمْ تَحْـرُمِ

فتناص اجترارا مع بيت "عنترة" لتشابه تجربة الحب عندهما؛ فكلاهما ذاقا مرارة الحرمان مع اختلاف السبب وراء هذا الحرمان .

ومن التناص الشعري قوله في الحث على الجهاد (بحر الطويل): [3]

وَلَـمْ يَحْـمِ دينًـا مُسْـتبَاحًا حَرِيمُـهُ ∴ مـنَ المُعْتَـدِي إلَّا القَنَـا والقنَابِـلُ

([1]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٥٢ .

([2]) شرح المعلقات السبع ، تأليف الإمام أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الحسين الزوزني ، تحقيق : الشيخ طه عبد الرؤوف سعد، الناشر : دار الحرم للتراث، الطبعة الأولى(١٣٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) ، ص ٢١٢ .

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٤٩ .

فالشاعر يدعم رأيه وهو أنه لا يحمي دين الله والمسلمين إلا الجهاد في سبيل الله، فاستشهد بقول "حسان بن ثابت" شاعر الرسول . صلى الله عليه وسلم . وحضر معه الكثير من الغزوات(بحر الطويل): [1]

وَكُنَّا مَتَى يَغْزُ النَّبِيُّ قَبِيلَةً ∴ نَصِلْ جَانِبَيْهِ بالْقَنَا والْقَنَابِلِ

ومن التناص الاجتراري مع الشعر قوله (بحر البسيط): [2]

وفِي النُّفُوسِ خَبايَا عزَّ مَطْلَبُها ∴ أَعْيَتْ فليسَ لهَا إلَّاكَ يا عُمَرا

في نفس الشاعر حاجات خفية مكتومة يريدها ولكنه يعجز عن تحقيقها ، ولن يتمكن من تحقيقها إلا عمر بن عبد العزيز ، فاجتر قول "جرير" الذي يرثي فيه "عمر بن عبد العزيز" (بحر البسيط): [3]

حملت أمرًا عظيمًا فاصطبرتَ لهُ ∴ وقُمْتَ فيهِ بأمرِ اللهِ يا عُمَرا

ومن التناص قول الشاعر مناجيا الليل (بحر الطويل): [4]

تطاولَ ليلُ النَّازحِ المُتَهَيِّجِ ∴ أمَا لِضِياءِ الصُّبحِ مِنْ مُتَبَلَّجِ

ولَا لِظَلامِ الليلِ مِنْ مُتَزَحْزَحٍ ∴ وليسَ لنجمٍ مِنْ ذَهَابٍ ولَا مَجِي

فَيَا مَنْ لِلَيْلٍ لَا يَزُولُ كَأَنَّمَا ∴ تُشَدُّ هَوادِيهِ إِلَى هَضَبَتَيْ إِيجِ[5]

---

(1) جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، ص ٦٣٢

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٢٣

(3) ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق / د. نعمان محمد أمين طه ، الناشر / دار المعارف القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، جـ٢ ، ص٧٣٦ . .

(4) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٤١- ١٤٢ .

(5) هضبتي إيج : جبلان بتيرس ومعنى إيج بالصنهاجية اللبن ، وقد ذكر تيرس في أغلب قصائده (هامش الديوان ١٤٢).

يعبر الشاعر عن معاناته في الغربة عن وطنه، وأثر ذلك عليه ؛ فقد طال ليله فتمنى أن يتزحزح ظلام الليل ويسفر عن ضياء صبح ينعم فيه برؤية أهله ، ولكن ظلام الليل ممتد لا يزول؛ فنجومه مشدودة إلى هضبتي إيج (جبلان بتيرس) ، وقد اجتر صورة الليل التي رسمها امرؤ القيس في معلقته (بحر الطويل): [1]

ولَيْلٍ كموجِ البحرِ أَرْخَى سُدولَهُ ∴ عليَّ بأنواعِ الهمومِ لِيَبتَلِى
فقلتُ لهُ لمَّا تمطَّى بصُلْبِه ∴ وأَرْدَفَ أعْجازًا ونَاءَ بكلْكلِ
ألَا أيُّها الليلُ الطويلِ ألَا انْجَلِي ∴ بصبحٍ ومَا الإصباحِ منكَ بأَمْثَلِ
فيا لكَ من لَيْلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ ∴ بكلِّ مغارِ الفتلِ شُدت بيذبلِ

فتناص اجترارا مع هذه اللوحة مع الفارق بينهما، فليل امرئ القيس يرمز إلى الظلم الذي تعرض له بعد مقتل والده وتفرق قبيلته، والحيرة التي تعرض لها لأخذ ثأر والده ممن قتله، لكن ليل ابن الطلبه يرمز إلى الغربة، ومما يؤكد ذلك رغبته في العودة إلى أهله (بحر الطويل) : [2]

ألَا ليتَ شِعْرِي هلْ إليهنَّ عوْدَةٌ ∴ وهلْ أنَا منْ غمِّ التَنَائي بِمُخْرَجِ

ومن التناص مع الشخصيات قوله مستدعيا شخصية "قيس بن الملوح" (بحر الطويل): [3]

تُعَلِّلُني بالوَعْدِ مِنْها وبِالمُنَى ∴ وكمْ خَيَّبَتْ ظنَّ الذي كانَ آمِلَا
فيَا حبَّذا مِنْها المَواعِدُ والمُنَى ∴ وإنْ كنَّ لا يَرْجِعْنَ إلَّا أبَاطِلا

([1]) ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي للمصطاوي ، ص ٥٠ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ، ص٥٩ ـ٦١.

([2]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٥٥ .

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٢٣ .

خليلـيَّ مـا قـيسُ المُلَـوَّحِ حـامِلًا ∴ مِنَ الوجدِ إلَّا دونَ ما كنتُ حامِلا
فمَـا الحـبُّ إلَّا ذُكْـرَةٌ كُـلَّ سـاعةٍ ∴ ودمـعٌ علـى الخـدَّينِ ينهَـلُّ سـائِلا
وإنْ تنـأَ منِّـي دارُهَـا كنـتُ جَازِعًـا ∴ وإنْ تَـدْنُ منِّـى دارُهـا كنـتُ جـاذِلا
وأسـألُ عنْهـا كـلَّ شـيءٍ رأَيْتُـهُ ∴ وإنْ كنـتُ أدْريـهِ وأعْلـمُ جَـاهِلا

فتناص الشاعر مع شخصية "قيس بن الملوح" _ الشاعر العاشق الهائم بحب ليلى _ تناص تآلف ، ليؤكد أن ما يحمله قيس من حب وشوق لليلى أقل مما يحمله من حب وشوق لحبيبته ، وهناك تماثل بين التجربتين في الحب والهيام فكلاهما يعاني الصد والهجر .

ولم يكتف ابن الطلبه باستدعاء شخصية "قيس بن الملوح" أشهر شعراء الغزل العذري ؛ فقد استدعى خصائص الحب العذري في أبياته السابقة من بخل المحبوبة ، وإخلافها للوعد ، فالحب العذري عذاب وجنون ونحول جسم وبكاء بانهيار ، كما قال امرؤ القيس في حب ليلى(بحر الطويل) : [1]

فكـم ذاكـرٍ ليلـى يعـيش بكربـة ∴ فينفض قلبي حين يذكرها نفضا
وحق الهوى إني أحس من الهوى ∴ على كبدي نارا وفي أعظمي مرضا
وأغشى فيحمى لي من الأرض مضجعي ∴ وأصرع أحيانا فألتزم الأرضا
رضيت بقتلي في هواها لأنني ∴ أرى حبها حتما وطاعتها فرضا
إذا ذكرت ليلى أهيم لذكرها ∴ وكانت مني نفسي وكنتُ لها أرضى
وإذا رُمت صبرا أو سلوا بغيرها ∴ رأيت جميع الناس من دونها بعضا

(1) ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى ، دراسة وتعليق يسري عبد الغني ، الناشر / دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ، ص١٠٤ .

فالتناص الاجتراري ورد بكثرة في شعر ابن الطلبه فتناص مع القرآن الكريم ومع الحديث النبوي الشريف ومع الشعر ، وهذا يدل على ثقافته الواسعة في العلوم والمعارف وخاصة علوم الدين، وإن بدت أغلب التناصات الاجترارية جلية واضحة، ففي هذا المستوى يجتر الشاعر من نصوص غيره الغائبة ما علق بذهنه واستولى على مشاعره ويوظفها توظيفا فنيا بما يبرهن ويدعم رؤيته أو فكرته محاولا إقناع المتلقي وإثارة انتباهه .

المبحث الثاني

التناص الإشاري

وفيه يشير الشاعر بلفظة أو لفظتين إلى النص الأصلي الغائب ، فقد تكون لفظة واحدة إشارة مركزة إلى استحضار نص سواء أكان شعرا أم نثرا [١] ، وهذا المستوى يجعل المتلقي يشحذ ذهنه لإدراك العلاقة بين النص الحاضر والنص الغائب ، وأهم ما يميزه الإيجاز؛ حيث يعمد الشاعر إلى اختياره حين يقتضي الموقف؛ فبدلا من أن يذكر النص الكامل؛ يشير إلى لفظة أو لفظتين أو جملة أو أسلوب ، ومن خلال ذلك يستدل على النص الغائب والغرض من استدعائه.

ومن التناص الإشاري مع القرآن الكريم ، قوله في مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والثناء عليه (بحر الخفيف): [٢]

أيـرومُ امـرؤٌ ثنـاء علـى مـنْ ∴ قـدْ نَمَـاهُ مـنَ الإلـهِ الثنـاءُ

قلتُ أنَّى يغْتَاصُ مَدحُ امرئٍ كا ∴ نَ لـهُ المَجْـدُ كلُّـهُ والثَّنَـاءُ

يستفهم الشاعر أيحاول إنسان مدح من أثنى عليه الله ـ عز وجل ـ بخير الثناء وأكمله وهو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجملة (من الإله الثناء) تشير إلى ثناء الله ـ عز وجل ـ على رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال الله ـ عز وجل ـ في كتابه العزيز : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [٣] ولا يخفى على القارئ

---

(١) سبق الإشارة إليه في البحث في الحديث عن مستويات التناص ، ص ١٧.

(٢) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٩٥.

(٣) سورة القلم ، آية ٤ .

الفاهم لكتاب الله أن يكتشف التداخل بين البيت الأول والنص القرآني ، وفي موضع آخر ذكر بيتين يحملان المعنى نفسه حيث قال(بحر البسيط) : [1]

أُثْنِـــي عليـــكَ بـــأنَّ اللهَ خَالِقنَـــا ∴ أثْنَي عليكَ فماذَا قَوْلُ منْ خُلِقَا ؟

ماذَا عسَى قولُهُم يُوفِي الثناءُ به ∴ سِيَّانِ أخْرَسُـهُم فيـهِ ومـنْ نَطَقَـا

فهل بعد مدح الله ـ عز وجل ـ ينتظر مدحا من مخلوق؛ فمدح الخلق مهما عظم يقصر عن مدح الله ـ عز وجل ـ وهذا يعد من قبيل التناص الذاتي، حيث امتاح الشاعر من نصه السابق ، وحور في الألفاظ مع أن الغرض واحد والفكرة واحدة.

ومن التناص الإشاري قوله(بحر البسيط) : [2]

إذْ بـاتَ يَجْتَـازُ مـنْ أمـرِ الإلـهِ بـهِ ∴ جبريـلُ عـنْ طَبَـقٍ أثْبَاجَهـا طَبَقَـا

فَكَانَ مَـا كَـانَ مِنْ وَحْـيِ الإلَـهِ بِمَـا ∴ قَدْ سَدَّ مِنْ دُونِـهِ عَنْ غَيْرِهِ الغُلُقَا

فـي هـذين البيتـين أشـار الشـاعر بلفظتـي (يجتـاز) و(جبريـل) إلـى ليلـة الإسـراء والمعراج ، حيث كرم الله ـ عز وجل ـ رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخصه برحلة الإسراء والمعراج ، فقال الله ـ عز وجل ـ في سورة الإسراء ﴿ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [3]، وفـي البيـت الثـاني أشـار بلفظتي (وحي الإله) إلى ما كان من وحي الإله في هذه الليلة المباركة ، فتناص الشاعر مع قوله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [4]، وبذلك يكون

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٩٢.

(2) المصدر السابق ، ص ٢٩١.

(3) سورة الإسراء ، آية ١ .

(4) سورة النجم ، آية ٤ ـ ٧

الشاعر قد أشار بألفاظ قليلة مركزة إلى نص بأكمله ، ليبرز مكانة وفضل رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على غيره من البشر .

ومما تناص فيه الشاعر مع القرآن الكريم قوله (بحر البسيط): [1]

لَوْ كَانَ قَوْلُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِم ∴ شَيْئًا لكَانَ بِهِ أَوْلَى مَنْ انْتَطَقَا

استحضر الشاعر قول الله ـ عز وجل ـ :﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤ ﴾ [2]، من خلال الإشارة المركزة في (قول النصاري) ، والتي تستدعي إلى الذهن قولهم بأن عيسى ابن مريم ابن الله ـ عز وجل ـ ؛ تنزه الله ـ عز وجل ـ وتقدس عما يقوله النصارى.

وتحقق التناص الإشاري من خلال الإشارة بلفظة الموْؤدة في قول الشاعر(بحر البسيط) : [3]

أَحْيَيْتَ مَوْؤدَةً عيَّتْ مآثِرُها ∴ يَا صَعْصَعَ الأَمْرِ مُحْيِي كُلِّ مَوْؤدِ

كان بعض أهل الجاهلية يدفنون البنات أحياء في التراب ، فيوم القيامة تسأل الموْؤدة بأي ذنب قتلت ، فتناص الشاعر مع الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ ﴾ [4] ، فالنص القرآني قد عزز مصداقية النص الشعري ، وفي لفظة (صعصع) تناص مع الشخصيات التاريخية؛ حيث استدعى الشاعر شخصية "صعصع بن ناجية" جد الفرزدق الذي كان يشتري البنات المهيآت للوأد ويشتريها من أهلها بماله ، وهو من قبيل تناص التآلف .

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٩٤.

(2) سورة الزمر ، آية ٤

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢١٤.

(4) سورة التكوير ، الآيتين ٨ ـ ٩ .

ومن التناص الإشاري مع الحديث النبوي الشريف قول الشاعر (بحر الخفيف):[1]

وَلَعَمْرِي لَأَمْدَحَنَّ مَلَاذِي ∴ يَوْمَ لَا غَيْرَهُ لِنَفْسٍ لَجَاءُ

في الشطر الثاني يشير إلى حديث الشفاعة حيث يأتي الناس إلى الأنبياء يريدون الشفاعة ، فيقول كل واحد منهم لست لها حتى يأتوا إلى سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . يريدون الشفاعة فيشفع لهم ، جاء في الحديث الشريف أن سيدنا مُحَمَّدا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا" [2]، وقد استدعى الشاعر الحديث الشريف ليؤكد قسمه وهو أنه سيمدح النبي . صلى الله عليه وسلم . حيث لا شفيع غيره يوم القيامة ، وكأن الشاعر أراد بهذا التناص أن ينبه الناس لعظمة وقدر منزلة سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . وهذا التداخل بين الحديث الشريف والنص الشعري أثرى شعره وزاده بهاء.

ومن التناص الإشاري قول الشاعر في الرثاء (بحر البسيط): [3]

دعِ الحواصِنَ ينْدُبْنَ الهُمامَ فَلا ∴ عُدَّتْ منَ البِيضِ من لمْ تَبْكِ مَوْلُودا

([1]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٠٣

([2]) صحيح مسلم ، حديث الشفاعة ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، جـ ١ ، ص ١٨٢ .

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٩٨ .

فلفظة (دع) إشارة مركزة إلى الحديث الشريف؛ الذي أباح فيه رسولنا الكريم البكاء بالعين والقلب على الأحبة الذين فارقوا ، فعن أَبَي هُرَيْرَةَ . رضى الله عنه . يَقُولُ: سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ صَوْتَ بَاكِيَةٍ، فَنَهَاهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهَا يَا أَبَا حَفْصٍ، فَإِنَّ الْعَهْدَ قَرِيبٌ، وَالْعَيْنَ بَاكِيَةٌ، وَالنَّفْسَ مُصَابَةٌ»[1] .

ومن التناص الإشاري مع الحديث الشريف قول الشاعر(بحر الطويل) : [2]

ولـيسَ الغِنَـى إلَّا اعْتِـزَازَ قَنَاعَـةٍ ∴ تُجِـلُّ أَخَاهـا أنْ يُـذَلَّ ويُشْـتَمَا

ففي قوله (اعتزاز قناعة) إشارة إلى الحديث الشريف الذي جاء فيه ، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . :" لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنِ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"[3] وقد استدعاه ليوضح أن الغنى الحقيقي في العزة والكرامة وليس بكثرة المال.

ومما تناص فيه الشاعر مع الحديث النبوي الشريف قوله في نصح قومه(بحر الطويل) : [4]

وَرَاعِ حُقُوقَ الضَّيْفِ وَالْجَارِ إنَّهُ ∴ لَعَمْرُكَ أَوْصَى أَنْ يُبَرَّ وَيُكْرَمَا

في قوله (حُقُوقَ الضَّيْفِ وَالْجَار) إشارة إلى الحديث الشريف الذي جاء فيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ

([1]) مسند الحميدي ، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي (المتوفى: ٢٩١ هـ)، المحقق حسن سليم أسد الداراني، الناشر دار السقا، دمشق، سوريا ، الطبعة الأولى (١٩٩٦م)، باب الجنائز ، جـ ٢، ص ٢٢٤ .

([2]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٤٤.

([3]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ١٢، ص ٢٦٧ .

([4]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٤٥

الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» [1]، وفي الشطر الثاني أشار بالفعل (أوصى) الذي جاء فيه عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ " [2] وقد استدعى الشاعر الحديثين الشريفين ليوصي قومه بإكرام الضيف ومراعاة حقوق الجار، فهما من مكارم الأخلاق ومن آداب الإسلام، ويسهمان في نشر التسامح والمحبة والود بين الناس .

ومن التناص الإشاري مع الحديث الشريف قول الشاعر(بحر الطويل) : [3]

وإنَّكُـــم إنْ تَنْصُـــروهُ نُصِـــرْتُم ∴ لَعَمْـرِي فَـلَا عَجْـزٌ ولَا هُـوَ خَـاذِلُ

وَلَمَّـا بَـدَا لِـي غَيْـرَ شَـكٍّ مِـنَ الَّـذِي ∴ قَد أَنْذَرَنَا الهَادي الأَمِينُ المُخَايِلُ

ففي جملة(أنذرنا الهادي) إشارة مركزة إلى الحديث الشريف الذي يحذرنا فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ترك الجهاد ، فعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في خطبته، بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعام: أيها الناس: إني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقول: "ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله، إلا أذلهم الله [4].

([1]) صحيح مسلم ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ، رقم الحديث ٤٧ ، جـ١، ص ٦٨ .

([2]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم الحديث ٩٧٤٦ ، جـ ١٥، ص ٤٦٥ .

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٥١.

([4]) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، تأليف علماء نجد الأعلام ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة السادسة(١٣٤١٧هـ -١٩٩٦م ، جـ ٨ ، ص ٢١.

ومن التناص الإشاري مع الشعر قول "ابن الطلبه" في الغزل (بحر الكامل) : [1]

يَـــا رُبَّ ليـــلٍ نـــابِغِيٍّ بِتُّـــهُ ∴ أرْعَـــى النجـــومَ وعَـــاذِلاتي نُـــوَّمُ

مَـا لِلنُّجـومِ رواكـدًا ؟ ألغَـبْنَ ؟ أمْ ∴ حارتْ أم اخْطأتِ الطريقَ الأنجُمُ؟

أمْ ضاقَ عنهنَّ الفضاءُ فمَا لهَا ∴ مُسْـــتَأخَرٌ فيـــهِ ولَا مُسْـــتَقْدَمُ؟

ليتَ المُعَنِّفَ بالهوَى ذاقَ الهوَى ∴ كَـيْلَا يُـلامَ علـى هَـواهُ مُتَـيَّمُ

يشكو الشاعر من طول الليل ؛ فقد عانى فيه الوحدة والأرق يراقب النجوم لعلها تزول ولكنها لم تتحرك ، ومما زاد إحساسه بالظلم هو لوم عذاله على عشقه وهيامه لحبيبته وليته ذاق الهوى ، وقد أشار بقوله: (ليل نابغي) إلى قول "النابغة الذبياني" حين قال في مدح "عمرو بن الحارث الأصفر بن الحارث الأعرج" حين لجأ إليه في الشام(بحر الطويل) : [2]

كليني لهمٍّ يا أُميمةُ ناصب ∴ وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ

تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ ∴ وليسَ الذي يرعى النجومَ بآيبِ

ومن خلال التناص الإشاري استدعى الشاعر شخصية "عنترة بن شداد"، فقال في نصح ابنه(بحر المتقارب) : [3]

ولَا تَطْعَمَـــنَّ سِـــوى مَطْعَـــمٍ ∴ كَمَطْعَـــمِ عَنْتَـــرَةَ الفـــاخِرِ

استطاع الشاعر من خلال الإشارة بلفظتي (مطعم عنترة) أن يستحضر بيت عنترة

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٥١.

(2) ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، طبع : دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ص ٢٩.

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٣٣.

الذي يقول فيه (بحر الكامل) : [1]

ولقـدْ أبيـتُ علـى الطَـوى وأَظلـهُ ∴ حتَّـى أنـالَ بـهِ كـريمَ المأكـلِ

فعنترة رمز الشجاعة كان يظل جائعا؛ حتى ينال أفضل الطعام والشراب حتى لو مكث عدة أيام ، فكانت نفسه أبية تترفع عن الأمور التافهة الوضيعة ، وربما يقصد من ذلك أن ينصح ابنه أن يحرص على أن ينال معالي الأمور وأفضلها.

ومن التناص الإشاري مع الحكمة قول الشاعر في الغزل(بحر الخفيف) : [2]

كنـتُ أخفيـتُ حُبَّهـا تِـمَّ حَـوْلٍ ∴ وفُـؤادي لـدَى الفَتَـاةِ رَهِينَـا

إنْ تسَـلْنِي حـديثَ ذاكَ فعِنـدِي ∴ صِـدْقُهُ إنَّ للحَـدِيثِ شُـجُونَا

فالشاعر أخفي حب حبيبته في قلبه حولا كاملا وقلبه متيم بحبها، ولكن للحديث فنون وأغراض ، فتناص الشاعر مع المثل العربي" الحَدِيث ذُو شجون " ، من خلال قوله:(إن للحديث شجونا) وَهُوَ على حسب مَا تَقول الْعَامَّة الحَدِيث يجر بعضه بَعْضًا ، يضْرب مثلا للرجل يكون فِي أَمر فَيَأْتِي أَمر آخر فيشغله عَنهُ[3] .

ومما تناص فيه الشاعر مع الأقوال المأثورة قوله(بحر الكامل) : [4]

طلـبُ المَعَـالِي دُونَ حَمْـلِ مَشَـقَّةٍ ∴ مِـنْ دُونـهِ حَمْـلُ العَقُـوقِ الأَبْلَـقِ

تناص الشاعر مع قول خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها، ولا تطلبوها في غير حينها، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها، فإن من طلب مالا يستحق

([1]) ديوان عنترة ، تحقيق / محمد سعيد مولوي ، الناشر / المكتب الإسلامي، ص٥.

([2]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٥٠١

([3]) جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري المتوفي ٣٩٥ هـ، الناشر / دار الفكر بيروت ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ .

([4]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣١٤

استوجب الحرمان [١] ، وقد استدعاه الشاعر؛ ليقرب إلى أذهان المتلقي فكرة فحواها أن من طلب المعالي ولم يتحمل المشاق والتعب في سبيل الحصول عليه كان كمن طلب شيئا واهيا غير موجود، (والأبلق العقوق) مثل لما لا يكون، والأبلق من ذكور الخيل وهو بالطبع لا يحمل[٢]، وهذه الصورة حملت دلالات جديدة ، وأضافت لنصه عمقا وإيحاء.

ومن التناص مع الشخصيات والمواقف التاريخية قوله في مدح رسولنا الكريم . صلى الله عليه وسلم . بالعفو والتسامح (بحر الخفيف) : [٣]

يــومَ جَــاءُوا تَحُــثُّهُمْ جَبَــروتٌ ∴ بِحُنَـــينٍ لِحَيْـــنِهِمْ وانْتِخَـــاءُ
فَلَقُــوا مَــا لَقُــوا وظَــلَّ زُهَيْــرٌ ∴ بعــدمَا أحْــرَزَ النِّسَــاءَ السِّــبَاءُ
وأُبِيــدَ الرِّجَــالُ فــي أيِّ يــومٍ ∴ غــابطٍ مَيْــتَهُمْ بــهِ الأحْيَــاءُ
وهــوَ يــدعُو بمِلْــحِ شــيماءَ حتَّــى ∴ شُــفِّعَتْ فــي هَــوازِنِ الشَّــيْمَاءُ
شُــفِّعَتْ فــيهُمُ فَــرُدَّ علــيهمْ ∴ أهْلُهُــم والبَنَــاتُ والأبْنَــاءُ
مِنَّــةً مِنْــهُ مِــنْ مُطَــاعٍ أَمِــينٍ ∴ هَكَــذَا فَلْيُــراعَ فِيــهِ الإِخَــاءُ

فالشاعر استدعى غزوة حنين التي انتصر فيها رسولنا الكريم . صلى الله عليه وسلم . وأصحابه على المشركين ، وأبيد فيها الرجال في يوم تمنى الأحياء أن يصيروا أمواتا ، وأصبحت النساء سبايا ، فكلموا رسول الله في السبايا ، فحاول خطيبهم "زهير بن صرد" أن يستدر عطف رسولنا الكريم . صلى الله عليه وسلم .

---

(١) جمل من أنساب الأشراف ، تأليف : أحمد بن جابر بن داود البلاذري المتوفي ٢٧٩هـ ، باب في طلب الحاجات ، تحقيق : سهل زكار ورياض الزركلي ، الناشر : دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ، جـ ١٢ ، ص ٢٨٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة ع ق ق .

(٣) ديوان محمد بن الطلبه ، ص٩٧_٩٨ .

فأبلغه أن من السباء أخته في الرضاعة الشيماء ، فشفع فيهم ورد السبايا إلى أهلهم هوازن ، وفي البيت الأخير يشير بقوله (فَلْيُراعَ فِيهِ الإِخَاءُ) إلى ما فعله رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من موقف نبيل ووظفه في بيته ؛ ليدل بها على أن من كان حريصا على الإخاء والمودة والتراحم بين الناس فليقتد برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد استطاع الشاعر أن يلائم بين ما استدعاه وبين السياق ، فبينهما تلاحم وترابط.

ووظف الشاعر التناص في حث قومه على الجهاد في سبيل الله ـ عز وجل ـ فقال (بحر الطويل) : [1]

وَلَـيْسَ الفِـرَارُ لِلْجَبَـانِ بِمُخْلِـدٍ ∴ أَلَا كُلُّ ذِي نَفْسٍ بِهِ الموتُ نَازِلُ

فَهَـلَّا تَمَسَّـكْتُمْ بِمـا قَـالَ خالـدٌ ∴ ففِي قَوْلِهِ وعظٌ لمنْ هو عاقِلُ

في هذين البيتين الكثير من أنواع التناص ، ففي الشطر الأول من البيت الأول تناص مع الحكمة؛ التي قالها "هانئ بن قبيصة الشيباني" لقومه يوم ذي قار، وهو يحرضهم: يا معشر بكرٍ: (هالك معذور خير من ناج فرور) [2]، وفي الشطر الثاني تناص مع قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [3] للدلالة على أن الهرب ليس منقذا للجبان من الموت، وأراد أن يدلل ويبرهن على كلامه؛ فاستدعى في البيت الثاني شخصية "خالد بن الوليد" سيف الله المسلول رمز الشجاعة، في معرض نصحه لقومه بعدم الفرار من الحرب، وأشار بلفظة واحدة وهي "قوله" هذه اللفظة إشارة مركزة إلى قول "خالد بن الوليد"

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٤٣

(2) الأمالي لأبي علي القالي المتوفي ٣٥٦هـ ، وضعها ورتبها : محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر / دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية (١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م) ، جـ ١،ص ٣٤٣

(3) سورة العنكبوت آية ٥٧ .

وهو يحتضر: " ليس في جسمي قدر رأس إبرة إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، وها أنا أموت على فراشي كالبعير لا نامت أعين الجبناء " [1] ، فبدلا من أن يذكر مقولة الصحابي "خالد" كلها اكتفى بالإشارة إلى لفظة واحدة .

وهذا ما يميز التناص الإشاري ؛ فقد استطاع الشاعر أن يعبر عن أفكاره ومشاعره بإيجاز ، واستدعى نصوصا من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن الشعر ومن النثر؛ عن طريق الإشارة بلفظة أو لفظتين أو جملة أو أسلوب من غير أن يعيد النص الغائب أو يكرره ، وإنما يدرك القارئ هذا التداخل من خلال آثار النص الغائب؛ الذي يتجلى في تماثل التجربة أو تشابه الموقف مع الإشارة بالألفاظ والأساليب.

(1) البداية والنهاية ، تأليف : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، الناشر : مكتبة المعارف بيروت ، (د ـ ت) ، جـ١٧ ، ص ١١٤ .

المبحث الثالث

التناص الامتصاصي

وفي هذا المستوى يمتص الأديب صياغة النص الغائب سواء أكان من القرآن الكريم أم من الحديث الشريف أم من الشعر أم من النثر، ويطوعه ويوظفه في نصه الجديد [1] للتعبير عن أفكاره حول الواقع المعاش سواء كانت ألفاظ النص الغائب واضحة أم غير واضحة .

ومن التناص مع القرآن الكريم قوله (بحر الطويل) : [2]

نَصَحْتُ لِقَوْمِي فَازْدَرُونِي وَإِنَّنِي ∴ وَإِنْ فَنَّدُوا نُصْحِي لِقَوْمِي نَاخِلُ

فلمَّا محَضْتُ النُّصْحَ صَمُّوا وأَعْرَضُوا ∴ فمَا مِنهُم للنُّصحِ منِّي قابِلُ

وقَالُوا لقَدْ سَفَّهْتَ جَهْلًا حُلُومَنَا ∴ وإنِّي لهمْ عن ذلكَ النُّصْحَ باذِلُ

ومَا بِي لعَمْرِي أنْ أكونَ أعِيبُهمْ ∴ ولكنَّ إشْفَاقِي لنَفْسِي غائِلُ

في الأبيات ينصح قومه ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله، ولكنهم استخفوا به وأعرضوا عنه وتركوا الاستماع لنصيحته وادعوا أنه سفيه ؛ ومع ذلك فهو مستمر في نصحهم شفقة عليهم من عقاب الله . عز وجل . فقد امتص نصه من مضمون قصة دعوة سيدنا نوح . عليه السلام . قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد ، والتي وردت في سورة نوح ، قال الله . تبارك وتعالى . : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾ [3] ، فقوم سيدنا نوح عليه السلام كانوا مصرين على الكفر والعناد؛ فكلما كان يدعوهم

---

(1) سبق ذكره في البحث في الحديث عن مستويات التناص ، ص١٨ .

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٥١ . ٣٥٢ .

(3) سورة نوح ، آية ٧

إلى الإقرار بوحدانية الله ـ تعالى ـ جعلوا أصابعهم في آذانهم، وتغطوا بثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يرونه وأصروا على الكفر ، وكأن الشاعر يعقد موازنة بين حالة الإعراض التي تعرض لها سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه ، وبين معاناته مع قومه التي دفعته إلى تمثل قول سيدنا نوح مع الفارق الكبير بينهما وبين موقفهما.

وثمة نص شعري آخر تحقق فيه التناص الامتصاصي، قوله يصف نساء قومه(بحر الخفيف) : [1]

وَبِيضٍ مِنَ الظَّعَائِنِ عِينٍ ∴ عُونِهَا[2] وَالكَوَاعِبِ الأَتْرَابِ[3]

قَاصِراتٍ للطَّرْفِ يَبْرُزْنَ فِي الرَّيـْ ∴ ـطِ [4] خِدَالٍ ثَوَاقِبِ الأَحْسَابِ

فالشاعر يصف نساء قومه بالجمال ، فذكر أنهن بيض واسعات الأعين كواعب حابسات أنفسهن على أزواجهن لعفتهن ، يمشين في تثن لامتلاء ساقيهن وذراعيهن، ذات أحساب وأنساب ، وهذه الأوصاف تشبه وصف الشعراء الجاهليين للنساء ، فكأن الشاعر امتص الوصف العام لنساء الجنة الذي ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة النبأ :﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [5] ، وفي سورة الرحمن

([1]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

([2]) العون : جمع عوان والعوان من النساء التي كان لها زوج (لسان العرب مادة عون).

([3]) الكواعب الأتراب : الكواعب جمع كاعب و الكاعب الحسناء ترفل في الحرير والدمقس ، وجارية كاعب : جارية ناهدة الثدي (لسان العرب مادة كعب)، والأتراب : جمع ترب وترب اللدة والسن يقال هذه ترب هذه وهما تربان والجمع أتراب(لسان العرب مادة ترب).

([4]) الريط : الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد ، أو كل ثوب لين رقيق (لسان العرب مادة ريط).

([5]) سورة النبأ ، آية ٣٣.

في قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] وظفهما في سياق جديد وهو وصف نساء قومه ، وبذلك يكون الشاعر قد امتص النص الغائب وطوعه بما يخدم نصه ويناسبه ، واستطاع أن يقدم رؤية جديدة ويدعمها من خلال الدلالة القديمة .

ويتبدى التناص الامتصاصي واضحا جليا في قول الشاعر(بحر البسيط) : [2]

يَا رَبَّنَا أوْلِ مِنْ نُعْمَاكَ مَوْلُودَا ∴ عَفْوًا وَظِلًّا مِنَ الفِرْدَوْسِ مَمْدُودَا

وَأَوْلِهِ المَاءَ مَسْكُوبًا وفَاكِهَةً ∴ والسِّدْرَ والطَّلْحَ مَخْضُودًا ومَنْضُودَا

فالشاعر يدعو للفقيد (مولود) أن يسكنه الله ـ عز وجل ـ الفردوس الأعلى في الجنة، فامتاح الوصف العام لمنازل المؤمنين في الجنة؛ بما فيها من أشجار النبق الذي لا شوك فيه وشجر الموز المنضود ، والماء المصبوب الصافي الذي يسكب على من يشربه من غير تعب ، والفاكهة الكثيرة التي لا شوك فيها غير المنقطعة، ووظفه في بيته الثاني للدعاء للفقيد أن يكون﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] فقد امتص النص القرآني، وضمنه في لغته الشعرية ووضعه في تركيب لغوي جديد؛ عبّر فيه عن إحساسه بالحزن والأسى على الفقيد .

ومن التناص الامتصاصي قوله في مدح قومه بني عامر(بحر الخفيف) : [4]

صَحِبَ اللهُ جَمْعَهُمْ ونَدَاهُمْ ∴ بِالرِّضَا عَنْهُمُ وحُسْنِ المآبِ

([1]) سورة الرحمن ، آية ٥٦.

([2]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٠٠

([3]) سورة الواقعة ، آية ٢٨ ـ ٣٢

([4]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٣٦.

يدعو الشاعر لقومه أن يرضى الله عنهم، ويحسن مرجعهم ومنقلبهم بدخول الجنة، وهذه المنزلة العظيمة قد أعدها الله لسيدنا داوود . عليه السلام . فامتص هذا المضمون البليغ من قول الله . تبارك وتعالى . : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] وأراد أن يجعل لقومه منزلة سيدنا داود . عليه السلام . مع الفارق الكبير بينهما ، فاستدعى هذه العبارة من النص القرآني ووظفها في نصه، فحمل في طياته فكرة جديدة تناسب غرضه وترسخ وتقوي المضمون القديم .

ومن التناص مع الحديث النبوي الشريف قوله في الغزل(بحر الطويل) : [2]

فقدْ ساءَني هِجْرانُها وجَفاؤُها ∴ وقدْ شَفَّنِي الوجدُ المُبَرِّحُ حِينَئذْ

فَإِنْ تَصْرِمِينِي لَيْسَ فِي الصَّرْمِ مَوْئِلٌ ∴ وَإِنْ تَصِلِينِي حَبَّذَا الوَصْلُ مِنْ عوذْ

كِلَا ذَيْنِ عِنْدَ اللهِ وَالأَمْرُ أَمْرُهُ ∴ فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَللهِ مَا أَخَذْ

في هذه الأبيات يشكو الشاعر من صد حبيبته وفراقها له ، فحبه لها شفَّه وجعله ناحلا هزيلا أوشك على الموت، فتساوى عنده فراقها ووصلها فكلاهما قدر مقدر، وأن الله هو المعطي وله ما أخذ ، فتناص امتصاصا مع الحديث الشريف ، حديث التعزية ، الذي جاء فيه عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ., فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا، أَوِ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: " ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ "»[3] ، ليؤكد رضاه بما قسم الله . عز وجل . له من وصل حبيبته أو هجرها .

([1]) سورة ص ، آية ٢٥.

([2]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢١٥

([3]) صحيح مسلم ، ، حديث التعزية ، باب البكاء على الميت ، جـ ٢، ص ٦٣٥ .

وتحقق التناص الامتصاصي في قوله في الغزل(بحر الطويل) : [1]

عَشِـيَّةَ أَصْـمَتْنِي ولـمْ تَـدْرِ بغْتَـةً ∴ فَرُحْتُ ومَا أَدْرِي الذهابَ مِنَ المَجِي

فحبيبة الشاعر قتلته من الحب من رميتها؛ فذهب عقله فأصبح لا يدري الذهاب من المجيء ، فامتص لفظة (أصمتني) من "قول ابن عباس عندما سئل عن الرجل يرمي الصيد فيجده مقتولا ، وقد غاب عنه يومين أو ثلاثة: " كُلْ مَا أَصْمَيْتَ، وَدَعْ مَا أَنْمَيْتَ " يُرِيدُ بِمَا أَصْمَى مَا قَتَلَهُ، وَهُوَ يَرَاهُ، وَبِمَا أَنْمَى مَا غَابَ عَنْهُ، فَلَمْ يَرَهُ حَتَّى نَمَى إِلَيْهِ، خَبَرُ مَوْتِهِ " [2]، فاستعار اللفظة (أصمتني) أي قتلتني ووظفها في الغزل ، وأضاف إليها رؤية جديدة تسهم في تعميق إحساسه بالمعاناة التي يعيشها في تجربة حبه البائسة .

ومما تناص فيه الشاعر مع الشعر قوله في الغزل بعائشة(بحر الخفيف) : [3]

نَفَـرَ النـومُ عـنْ جُفُـونِي نِفَـارَا ∴ لَا أذوقُ المَنَـــــامَ إلَّا غِـــــرارَا

شرد النوم من عينيه من شدة العشق، فأصبح لا يذوق النوم إلا قليلا ، فامتص هذا المعنى من قول الفرزدق في رثاء الحجاج في قصيدة بعنوان " ابك على الحجاج" (بحر الكامل) : [4]

إنَّ الرَّزِيَّـةَ مِـنْ ثَقِيـفٍ هالـكٌ ∴ تَـــرك العُيُـــون ونَـــوْمهنَّ غِـــرَارُ

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٨٣

(2) انظر شرح صحيح البخاري، المؤلف : ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف المتوفي ٤٤٩هـ ، المحقق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، الناشر : مكتبة الرشد ، السعودية ـ الرياض ، الطبعة الثانية(١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م) ، جـ ٥، ص ٣٩٤ .

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٢١ .

(4) ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : الأستاذ على فاعور ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م) ، ص٢٥٨.

فالشاعر قام بتذويب عجز البيت وصهره، ووظفه في غرض الغزل وحمله شحنات عاطفية جديدة تختلف عن النص الغائب وتناسب الواقع المعاش.

ومن التناص الامتصاصي مع الشعر قوله يمدح قومه (بحر الطويل) : [1]

ولَا عيبَ فيهِمْ غيرَ أنَّ ثناءَهُمْ ∴ يُقَصِّرُ عنهُ في المديحِ مقَاوِلُهُ

إن قومه بني عامر لهم ما لهم من الصفات النبيلة والأخلاق الكريمة؛ التي لا يستوفيها شاعر مهما بلغ شأنه ، وقد امتص هذا الأسلوب، وهو المدح بما يشبه الذم من قول النابغة في مدح "عمرو بن الحارث الغساني"(بحر الطويل) : [2]

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم ∴ بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

فالشاعر بحث عن عيب في الغساسنة فلم يجد أي عيب عندهم؛ وهو في الحقيقة مدح وشرف وفضل لهم وهو أن سيوفهم ثلمت من كثرة الحروب والمعارك ، فاستطاع "ابن الطلبه" أن يصهر ويذيب النص الغائب في لغته ويوظفه في نصه الحاضر، وسكب عليه من إحساسه وعاطفته تجاه قومه، فلم يقتصر على وصفهم بالشجاعة فقط ، بل أثنى عليهم بكل صفات المدح.

ومن التناص الامتصاصي مع الشعر قوله في الغزل(بحر الخفيف) : [3]

فَقِفَا وابْكِيا وعُودا وجُودا ∴ بِمَصُونِ الدُّمُوعِ جَوْدًا مَطُورَا

وَإِذَا لَمْ تُسْعِدانِي فَعُوجَا ∴ إنَّ غَدْرًا أنْ تَمْنَعانِي المُرُورَا

([1]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤١٩.

([2]) شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني المتوفي ٤٢١هـ ، حققه / غريد الشيخ ، وضع فهارسه : إبراهيم شمس الدين ، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ، ص ٩١ .

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢١٧.

إنَّ عِنـــدِي لهَـــا إذا لـــمْ تُعِينَـــا ∴ مِقْـــولًا مُسْـــعِدًا وجَفْنًـــا دَرُورَا
وفُـــؤادًا علَـــى صُـــروفِ الليـــالِي ∴ وانصِـــرَامِ الصِّـــبا لِجُمْـــلٍ ذَكُـــورَا

في الأبيات يطلب من صاحبيه أن يقفا ويبكيا بدموع غزيرة، ثم يمرا على حبيبته، ويبلغا لها رسالة منه، وهي أن ذكراها في قلبه وعقله مهما مر من أحداث وسنين .

وقد تناص مع أبيات من "مالك بن الريب" في يائيته التي يرثي فيها نفسه (بحر الطويل) : [1]

فيا صاحبَي رحلي! دنا المَوْتُ فَانزلا ∴ بِرابِيَـــةٍ، إنّـــي مُقِـــيمٌ لَياليـــا
أَقيمـا علـيّ اليَـوْمَ، أو بَعْـضَ ليلـةٍ ∴ ولا تُعْجِلانـــي قـد تبـيّنَ مـا بِيـا
وَقومـا، إذا مـا استُلّ روحـي، فهيّئـا ∴ لـيَ القبـرَ والأكفـانَ، ثُـمّ ابكيـا ليـا

فإذا كان الشاعر قد امتص أبيات "مالك بن الريب" ووظفها في غرضه الغزلي ، لكن نستشعر أن أبيات "مالك" أكثر صدقا فعندما يشعر الإنسان أن نهايته أوشكت يخرج خلاصة الصدق من نفسه.

ومن التناص الامتصاصي مع الأمثال قوله في حبيبته (بحر البسيط) : [2]

وكلُّ منْ أصْبَحتْ مِنْ حَلْيِهَا عُطُلَا ∴ لَا ناقـةَ اليـومَ لِـي فيهَـا ولَا جَمَـلَا

فالمرأة العُطُل التي لا تتقلد حليها لا تهمه ولا يعنيه من أمرها شيء، فتناص الشاعر امتصاصا مع المثل العربي " لا ناقة لي في هذا ولا جمل " ، وهذا المثل للحارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة كليباً، قال: وكان قد اعتزل الفريقين

(1) جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ .
(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣١٩

جميعاً [١] ، ووظفه ليوضح أن حبيبته مرفهة منعمة تتزين بحليها ، وتحرص على أناقتها مهما كانت جميلة، وقد قدم فكرة جديدة غير المعروفة وهي أن المرأة الجميلة لا تهتم بلبس الحلي لجمالها وتمامها .

ومن التناص مع الأمثال قوله في التهنئة بميلاد محمد البخاري(بحر الخفيف):[٢]

نَوَّلَتْنَا مُحَمَّدًا وكفَانَا ∴ وهوَ كافٍ لمُبتَغِي الوِلْدَانِ

هُمْ إليهِ كَنِسْبَةِ الماءِ منْ صَدَّ ∴ اءِ أوْ كالمرْعَى منَ السَّعْدانِ

يحمد الله ويشكره على عطيته؛ فقد أعطاه محمدا وكفاه ما أعطى لمن يطلب الأولاد ، فتناص الشاعر امتصاصا مع المثل العربي : ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان [٣]، وهو يضرب للرجل يحمد شأنه، ثم يصير إلى آخر أكثر منه وأعلى ، وظفه ليدلل على أفضليته على غيره .

فالتناص الامتصاصي يقوم على صهر النصوص الغائبة في لغة الأديب ، وإعادة صياغتها، وتوظيفها في نصه الحاضر إما برؤية جديدة أو لتعميق الدلالة القديمة، وهذا المستوى من التناص يتطلب مقدرة فنية من الأديب تمكنه من تطويع اللغة لتناسب الواقع المعاش .

---

(١) مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني المتوفي ٥١٨هـ، حققه / محمد محي الدين عبد الحميد (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) ، مطبعة السنة المحمدية، ص ٢٢٠.

(٢) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٥٨ .

(٣) الأمثال لابن سلام ، باب الرجلين يكونان ذوى فضل غير أنَّ لأحدهما فضيلة على الآخر، المحقق الدكتور / عبد المجيد قطامش، الناشر / دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، ص١٣٥ .

المبحث الرابع

التناص الحواري

عند قراءة النص الحاضر من قبل المتلقي يتذكر نصا غائبا آخر يشبهه ولكنه يختلف عنه في بعض الوجوه ، وهذه المخالفة بين النصين الحاضر والغائب تسمى بالتناص الحواري، وهذا المستوى يدل على براعة الأديب، وقدرته على الإبداع والتميز في معرفة أوجه التداخل والتشابه بين النصين، ثم توظيفه لغرضه والفكرة التي يريد توصيلها للمتلقي والتي غالبا ما تكون قلبا للنص الأصلي وتحويرا فيه عن طريق التحدي الفكري، لذا يثير انتباه المتلقي، ويتطلب منه إعمال فكره لاكتشاف تجربة الأديب وفكرته.

ومن التناص الحواري قول ابن الطلبه يرثي العالم الجليل الخرشي [1](بحر البسيط) : [2]

تَسْعَى لتُدرِكَ شأوًا أنتَ مُدرِكُهُ ∴ قدْ فاتَ كل مُبِرِّ الحُضْرِ سَيَّاحِ

لَا تَبْعَدَنَّ فَكَمْ رَتْقٍ فَتَقْتَ وَكَمْ ∴ فَتْقٍ رَتَقْتَ قد أعْيَا كُلَّ فَتَّاحِ

وخَفَّفَ الوجْدَ عنِّي في مُصِيبَتِه ∴ أنْ قدْ مضَى غيرَ مَلْحيٍّ ولَا لاحِ

رَوى الإلهُ صَدَى الخِرْشِيِّ تَكْرِمَةً ∴ منهُ بِجَوْنٍ منَ الرِّضْوانِ سَحَّاحِ

في هذه الأبيات نستشعر عاطفة الشاعر الحزينة على فقد العالم الخرشي الجواد المدرك للغايات النبيلة، ومما خفف عنه من آلام الفراق؛ أنه انتقل إلى ربه . عز وجل . غير شاتم ولا لائم ، ويدعو الله . عز وجل . أن يروي جسده بعد الموت، ويسقيه من الرحيق المختوم فضلا ورضوانا من المولى . عز وجل . وفي البيت

(1) هو الخرشي بن أحمد بن عبد الله كان عالما جوادا (ديوان محمد بن الطلبة ، ص ١٩٠.

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٩٤

الثاني تناص مع قوله . تبارك وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] فهذه الصورة التي وردت في القرآن الكريم وهي صورة انفصال الأرض عن السماء وتصدعهما بعد ما كانا ملتصقتين ، وظفها في رثاء العالم الخرشي للتعبير عن أعماله الخيرة النبيلة ، فكم فتح أبوابا من الخير كانت مغلقة ، وكم أغلق أبوابا من الشر كانت مفتوحة ـ مع الفارق الكبير بين الصورتين ـ ولكن الشاعر حور وزاد صورة ، وهي (وكم فتق رتقت) ، وهذه الصورة التضادية ، أحدثت طرافة وتأثيرا في شعره .

ومن التناص الحواري مع القرآن الكريم قوله (بحر الكامل) : [2]

مَنْ يَسْعَ فِي شَقِّ العَصَا مِنْ قَوْمِنَا ∴ فَلَقَدْ عَصَى وَأَتَى فِعَالَ الأَحْمَقِ

يوضح الشاعر أن الخروج عن الجماعة وإحداث تفرقة بينهم يعد معصية ويجر الكثير من المصائب، فتناص مع مضمون الآية الكريمة﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]، ولكن حور وغير فبدلا من أن يستخدم أسلوب الأمر (أطيعوا) استخدم مضاد الطاعة وهي المعصية ، وذكر عاقبتها ، وهذه المخالفة تدل على قدرته الفنية حيث استدعى المعنى في مخيلته؛ ولكن حوره ليخدم فكرته وهي دعوته إلى الاتحاد والتآلف ونبذ الفرقة والقطيعة.

---

(1) سورة الأنبياء ، آية ٣٠

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣١٤

(3) سورة الأنفال ، آية ٤٦

ومما تناص فيه الشاعر مع القرآن الكريم قوله في وصف الدنيا (بحر الخفيف):[1]

حينَ إذْ جُمْلُ منكَ غيرُ بعيدٍ ∴ لَا يُعنيكَ أنْ تَرى أو تَزُورا
حينَ إذْ هي بالبناتِ تلهي ∴ يَا لَهَا شادنًا أغنَّ نفُورا
وإذَا ريْتَ ثَمَّ رَيْتَ نعيمًا ∴ طابَ ما شِئْتَ لذةً وحبُورا
قدْ قضَينا بهِ نذورَ التَّصابي ∴ وتَغَبرت منهُ فيهِ الخُمُورا
وتَمَتَّعْتُ مِنْ جَنَاهُ ولَكِنْ ∴ مَا مَتَاعُ الحَيَاةِ إلَّا غُرُورا

في هذه الأبيات يشبب بحبيبته ذات الجمال الفتان التي تشبه ولد الظبية الذي في صوته غنة ، فعندما ينعم بلذة القرب منها لا يعنيه كل ما حوله ، وفي البيت الثالث اقتباس من قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ ﴾[2] الموجه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي إذا نظرت ببصرك يا محمد هناك في الجنة فستجد نعيما لا يوصف وملكا لله عظيما ، وفي البيت الأخير تناص مع قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ ﴾[3] ، فالشاعر حور وبدل في السياق فقلبه من الحديث عن نعيم الآخرة إلى الحديث عن نعيم الدنيا، وقدم متاع على الحياة ، وخالف بذلك النص الأصل؛ فالله ـ عز وجل ـ جعل الحياة كلها متاع الغرور، فعلى الإنسان ألا يركن إليها ولا يغتر بها، لكن ابن الطلبه قصر الغرور على متاع الحياة فقط وليس كل الحياة ، وهذا التداخل والقلب يثير انتباه المتلقي .

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢١٩
(2) سورة الإنسان ، آية ٢٠
(3) سورة الحديد ، آية ٢٠

ومن التناص مع القرآن الكريم قوله في الغزل (بحر البسيط) : [1]

فَقُلْتُ للنفسِ إذْ جاشتْ بِبَيْنِهِمُ ∴ صبرًا ويَا رُبَّ نُصْحٍ غيرِ مَسْمُوعِ

أُخَادِعُ النَّفْسَ عَنْهُمْ وَهيَ خَادِعَتِي ∴ جَهْلًا ومَا كُنْتُ عَنْ رَأْيِي بِمَخْدُوعِ

يشكو الشاعر من صد حبيبته له ويصبر نفسه على فراقها ، وفي البيت الثاني تناص مع الآية الكريمة﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾[2]، فقد جعل هناك ارتباطا بين الحبيبة والمنافقين في الخداع والمراوغة ، ولكن الشاعر حور وافتخر بقوله: (ومَا كُنْتُ عَنْ رَأْيِي بِمَخْدُوعِ) ، فحينما أدرك أنها لا تحبه أبت نفسه قبول الخديعة ، ولكن المنافقين خدعوا وهنا تحققت المخالفة ، فالله . عز وجل خادعهم . وهم لا يدرون بإملائه لهم واستدراجهم، وهذا المستوى يحتاج إلى إعمال للفكر؛ حيث يحاول الشاعر الارتقاء بمستواه الفني من خلال التغيير والتبديل في النص الغائب .

ومما تناص فيه الشاعر مع الحديث النبوي الشريف؛ قوله في الفخر بقومه(بحر الطويل) : [3]

وَإِنَّا إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَضَعْضَعَتْ ∴ لَهَا حُلَمَاءُ النَّاسِ لَمْ نَتَضَعْضَعُ

استعار الشاعر لفظ تضعضع من الحديث الشريف: مَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ ذَهَبَ

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٦٣

(2) سورة البقرة ، آية ٨

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٦٠

ثُلُثَا دِينِهِ " [1] يعنى خضع وذل، فالحديث يحذرنا من أن نلح في طلب المسألة ونبذل ماء الوجه ونتضعضع أمام الغني حتى في أشد الأزمات ، فطلب الحوائج يكون بعفة نفس ، وهذه اللفظة صرفها الشاعر من سياق التحذير إلى سياق الفخر، ووظفها توظيفا فنيا فالخضوع لا يكون إلا لله عز وجل.

ويواصل الشاعر نصائحه لقومه مستخدما التناص، فيقول(بحر الخفيف): [2]

وَالْزَمُوا الْحِلْمَ وَالأَنَاةَ وخَلُّوا ∴ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ شَرَّ الْخِلَالِ

واتَّقُوا الشُّحَ وَالضَّرَاعَةَ وَالفَكَّةَ[3] ∴ والْهَاعَ[4] شِيمَةَ الأَنْذَالِ

تناص الشاعر مع الحديث الشريف الذي جاء فيه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ " [5] ، ليحذر وينهى قومه عن الشح ، فالشح أبلغ من البخل وأعم؛ لذا حذرنا منه رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ باستخدام أسلوب التحذير إياكم،

---

(1) الزهد لأحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ ، وضع حواشيه : محمد عبد السلام شاهين، الناشر : دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م) ، رقم الحديث ٤٣٥ ، ص ٧١ .

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣٦١ ــ ٣٦٢ .

(3) الفكة : الانفكاك والضعف ، يقال إن في فلان فكة أي ضعفا (معجم متن اللغة لأحمد رضا ، صدر ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م ، مادة فكة) .

(4) الهاع : الجبن والفزع هاع فلان فزع وجبن ، وهاع لاع : جبان ضعيف جزوع(المعجم الوسيط ، مادة هاع).

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم الحديث ٦٧٩٢، جـ ١١، ص ٣٩٨ .

واستخدم الشاعر اتقوا بمعنى احذروا ، وهذا التغيير والتداخل بين الحديث الشريف والنص الشعري جعل لبيته تأثيرا كبيرا .

ومن التناص الحواري مع الحديث الشريف قوله(بحر الطويل) : [1]

تَجَنَّبْ صِحَابَ السُّوءِ مَا عِشْتَ إِنَّهُمْ ∴ لَكَالْجُرْبِ يُعْدِينَ الصَّحِيحَ المُسَلَّمَا

يدعو الشاعر إلى تجنب صاحب السوء؛ فشبهه بالأجرب الذي يعدي السليم المعافى ، وقد استدعى الشاعر المعنى من الحديث الشريف الذي جاء فيه عَن أَبِي مُوسَى، عَن النَّبِيّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَن تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً [2]، فالرسول ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ شبه جليس السوء بنافخ الكير الذي يضر الإنسان، ولكن الشاعر بدل الصورة التي رسمها رسولنا الكريم ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فصوره بالأجرب الذي يعدي ، وهذه المخالفة حققت طرافة التصوير وأثارت انتباه المتلقي لإدراك الهدف منها؛ وهو اجتناب أهل السوء فإنهم يضرون ولا ينفعون بأي حال من الأحوال.

ومما تناص فيه الشاعر مع الشعر، قوله في الغزل(بحر الخفيف) : [3]

كُنْتُ أَرْجُو مِنْهَا الْوِصَالَ وَقَدْ أَصـ ∴ ـبَحْتُ أَرْضَى مِنَ الرَّجَا بِالْعَنَاءِ

لَا وِصَالٌ وَلَا رَجَاءٌ وَأَشْقَى النَّـ ∴ ـاسِ عَيْشًا صَبٌّ بِغَيْرِ رَجَاءِ

(١) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٤٥

(٢) صحيح مسلم، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم الحديث ٢٦٢٨ ، جـ ٤ ، ص٢٠٢٦.

(٣) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٠٨

عَـدِّ عَنْهَـا إِذْ لَـمْ تُواتِـكِ إِنِّـي ∴ لَسْـتُ أَثْـوَى بِغَيْـرِ دَارِ ثَـوَاءِ

يشكو الشاعر من صد حبيبته وهجرها له مع رجائه في وصلها، وأتعس الناس من يحب بلا أمل في الوصل؛ فتناص مع بيت "امرئ القيس" الذي يقول فيه (بحر الكامل): [1]

وَإِذَا أُزِيـــتُ بِبَلْـــدَةٍ وَدّعْتُهَـــا ∴ وَلا أُقِـــيمُ بِغَيـــرِ دَارِ مُقَـــامِ

فالشاعر هنا بدل البلدة في النص الغائب بالحبيبة في نصه ، وجعل الحبيبة التي تصده وتتمنع عليه مكان البلدة التي آذته ، وجعل بينهما ارتباطا في الحكم وهو الترك ، ترك الحبيبة التي تصده ، وترك البلدة التي آذته ، وهذا التبديل شغل ذهن المتلقي ولفت انتباهه.

ومما تناص فيه الشاعر مع الشعر قوله (بحر البسيط) : [2]

صَـبْرًا أفـاطِمُ لَا تَأْسِـي فكـلُّ فَتـى ∴ يَجْرِي إِلَـى أجلٍ قَدْ كـانَ مَعْدُودَا

فَـاقْنَي حيـاءَكِ لَا تسْـتَبدلين بـهِ ∴ أمْ هلْ تَرَيْنَ لِمَـا قَدْ فـاتَ مَرْدُودَا

فالشاعر يطلب منها أن ترضى بقضاء الله وتلتزم الصبر فلا راد لقضاء الله عزوجل؛ فتناص مع بيت عنترة (بحر الكامل) : [3]

فَـأقني حيـاءَكِ لَا أبـا لـكِ واعلَمـي ∴ أنِّـي امـرؤٌ سـأموتُ إنْ لـمْ أُقتَـلِ

فالشاعر حور في المعنى وقلبه؛ من عدم الخوف من الموت والدخول في المعارك للفتك بالأعداء إلى الاستسلام والصبر على الموت، والتقابل واضح بين

---

(1) ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، ص ١٥٣ .

(2) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ١٩٨ .

(3) ديوان عنترة ، ص ٧٦ .

الموقفين ، وهذا يوضح براعة الشاعر وقدرته على تطويع وتحوير النصوص الغائبة لخدمة المعنى الذي يريده .

ومن التناص الحواري قول الشاعر في الغزل واصفا ثغر حبيبته (بحر الخفيف) : [1]

ثُــمَّ أَبْــدى ابْتِســامُهَا عَــنْ وَليــعٍ ∴ لَاعَنِــي وَمْضُــهُ بَــرُودٍ بَــرُوقِ

مُظْلِــمٍ ذِي عَــوارِضَ لــمْ يَعِبْهــا ∴ قِصَــرٌ غيــرَ أنَّهــا غيــرُ رُوقِ

يصف جمال فمها وابتسامتها، فابتسامتها تظهر أسنانها البيضاء التي تشبه اللؤلؤ المنظوم ، وفمها تلألأ عليه الظَّلْم كالماء الرقيق من شدة بريقه ، وهذه الابتسامة تثير مشاعره وأحاسيسه ، فقوله(مظلم ذي عوارض) تناص مع قول "كعب" (بحر البسيط): [2]

تجلو عوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسَمَتْ ∴ كأنّــه مُنْهَــلٌ بــالرّاحِ مَعْلُــول

ولكن الشاعر حور في الألفاظ فقدم مظلما على عوارض، فكلا الشاعرين التقيا في جمال فم المحبوبة وابتسامتها، غير أن ابن الطلبه وصف ريقها باللمعان والبروق ، والشاعر "كعب" جعل ريقها له بريق وطيب الرائحة.

ومن التناص الشعري قول الشاعر (بحر الكامل) : [3]

صــعبُ الكريهــةِ لَا يُــرامُ جَنابُــهُ ∴ كالليــثِ فــي أَجَماتِــهِ المُسْتَبْسِــلِ

([1]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٣١٢ .

([2]) جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ص ٦٣٢

([3]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٤٠٨ .

فقد اجتزأ الشطر الأول من البيت عن طريق الاقتباس الكلي من قول "أبي كبير الهذلي"(بحر الكامل) : [1]

صـــعبُ الكريهـــةِ لَا يُـــرامُ جَنابُـــهُ ∴ ماضِـي العزيمـة كالحسـامِ المقصـلِ

وفي الشطر الثاني قلب الصورة ، فابن الطلبه يرثي العالم الجليل "محمد الأمين ابن الأمين اليعقوبي الحسيني" ووصفه بأنه قوي الشكيمة يهابه الناس كالأسد لا يخشى الموت، أما الشاعر "أبو كبير الهذلي" مدح "تأبط شرا" أحد شعراء الصعاليك ووصفه بأنه قوي شجاع لا يصده صاد عن عزمه كالسيف القاطع، فبين الصورتين ارتباط فكلاهما رمز الشجاعة والقوة، كما حور الشاعر فقلب البيت من سياق المدح إلى الرثاء . وكما وجد تناص الحوار بين نصوص الشاعر ونصوص غائبة ، وجد كذلك مع الأمثال، فهي خلاصة أفكار وتجارب السابقين، وقد حفظها الناس جيلا بعد جيل لما لها من أهمية بالغة في إقناع المتلقي .

ومما تناص فيه الشاعر قوله في نصح ابنه (بحر المتقارب) : [2]

ولـيسَ يَسُودُ . لَعَمْـرِي . الحَسُودُ ∴ جَـــري ذاكَ فِـــي المثـــلِ السَّـــائِرِ

تناص الشاعر مع الحكمة التي تقول : الْحَسُودُ لَا يَسُودُ [3]، وقد استدعاها ليوصي فيها ابنه بأنه إذا أراد أن تكون له السيادة؛ فعليه التحلي بالصفات النبيلة والتخلي

([1]) شرح كتاب الحماسة للفارسي ، المؤلف : أبو القاسم زيد بن علي الفارسي المتوفي ٤٦٧هـ ، حققه / د. محمد عثمان علي ، الناشر دار الأوزاعي بيروت، الطبعة الأولى ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٢

([2]) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٣٢

([3]) أدب الدنيا والدين ، تأليف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي ، بدون طبعة ، تاريخ النشر ١٩٨٦م ، ص ٢٧٣ .

عن الصفات الرزيلة التي من بينها الحسد، وعدم التدخل في شئون غيره، ولكن الشاعر حور في الألفاظ فقدم ليس يسود على الحسود، وقد أراد أن يعمق الدلالة القديمة ؛ فأضاف القسم للتأكيد ، وهو اختيار عن قصد ليكسب شعره الإقناع والإمتاع .

ومن التناص الحواري مع الأمثال قوله عن الدهر (بحر الكامل) : [1]

ورَمى بَأَسْهُمِهِ الصوائبِ شِرَّتِي ∴ ومنَ السِّهامِ صوائبٌ وخَواطِئ

أصْبَحْتُ ودَّعْتُ الصِّبا لا عنْ قِلى ∴ والدَّهرُ بالعِلْقِ المُفَجِّعِ سَاطِ

في البيتين صورة فنية فجعل الدهر يرمي بأسهمه الصائبة عليه؛ فأصابه في شبابه عن طريق التشخيص، وهذه هي عادة الدهر يسطو على كل نفيس؛ فتناص الشاعر مع المثل "مع الخواطئ سهم صائب" [2]، بالقلب والتحوير فجعله في نصه "ومن السهام صوائب وخواطئ" ، وهذا المثل قد يضرب أيضا للرجل تكون الإساءة هي الغالبة عليه، ولكن الشاعر غير وخالف لما هو متعارف عليه ومحفوظ في الذاكرة.

لم يكتف الشاعر بالتناص من نصوص غيره بالقلب والتحوير ، ولكنه وقف أمام نصوصه يعيد صياغتها ويحاورها، فمن التناص الحواري الذاتي قوله في الغزل (بحر البسيط) : [3]

نَأَتْكَ أسماءُ إلَّا أنْ تَذكرَهَا ∴ أوْ أنْ يُلِمَّ خيالٌ طَالما طرَقا

تاللهِ تفتأُ منْ أسماءَ مُخْتبَلا ∴ تعتادُ رسمًا جديدَ العهدِ أوْ خَلَقا

---

(1) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١

(2) الأمثال لأبي عبيدة القاسم بن سلام ، ص٥٠ .

(3) ديوان محمد بن الطلبه ، ص ٢٨٦.

لعلَّ ذا العرشِ يطْوِي بُعْدَ منْزِلِها ∴ فيَبْرُدَ القُرْبُ منْ نارِ النَّوى حَرَقَا

يقسم الشاعر أن عقله جن واختبل من حب أسماء ، فأخذ يتتبع رسوم منازلها لعله يلقاها فتبرد نار حبه، وفي البيت الثاني استدعى قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1] وهو النص الأصل؛ ثم أعاد صياغة البيت الثاني ولكن وظفه في الرثاء، فقال (بحر البسيط) : [2]

وقدْ تـوَخَّى المنَـى يـومَ اسْـتَبدَّ بـهِ ∴ حُرَّ الصَّميمِ وأبقَى الدِّنْدِنَ الدُّونَا

تاللَّـــهِ تفتـــأُ ذِكْـــراهُ تُـــؤَرِّقُني ∴ وجـدًا عليـهِ فمَـا انْفَـكَّ مَحْزُونَـا

فالشاعر يري أن الموت عندما توخى المرثي قصد أفضل الناس ، فذكراه تؤرقه وتمنعه من النوم من شدة التفجع والحزن عليه ، فتناص مع نصه السابق وحور فيه وأعاد صياغته من غرض إلى غرض فقلبه من الغزل إلى الرثاء ، أما النص الأصل الغائب فهو من القرآن الكريم، وبذلك يكون الشاعر في الغزل بأسماء تناص مع النص الغائب حوارا، وفي رثاء العالم تناص مع النص الغائب امتصاصا .

من خلال التناص الحواري استطاع الشاعر أن يطوع الألفاظ للتعبير عن الواقع المعاش فقدم وأخر بعضها وزاد ونقص في بعضها الآخر، وقلب السياق الشعري من غرض إلى غرض، وحور في نصوص غيره ، وفي نصوصه وهذا يدل على إبداعه الفني وتميزه الفكري .

(١) سورة يوسف ، آية ٨٥ .

(٢) ديوان محمد بن الطلبة ، ص ٤٥٧.

هذه هي أبرز مستويات التناص التي وجدتها في ديوان محمد بن الطلبه ، وهذه المستويات الأربعة تتفاوت في كثرتها وقلتها حسب الموقف، وأكثرها ورودا في شعره هو المستوى الأول المستوى الاجتراري .

وهذ دراسة تطبيقية لمستويات التناص التي وردت في ديوان ابن الطلبه مستبعدة ما تم توضيحه في صلب البحث :

صفحة الديوان	النص الحاضر	النص الغائب	نوع التناص	شكل التناص	مستوى التناص
١٩٨	صَبْرًا أَفَاطِمُ لَا تَأْسَي فَكُلُّ فَتَى يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ قَدْ كَانَ مَعْدُودَا	﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾(١).	القرآن الكريم	مباشر	امتصاصي
١٩٩	مُـرَزَّأً أَرْيَحـيًّا مَـاجِدًا أَرِبًـا لَيْثًا هِزَبْرًا بِنَصْرِ اللهِ مَوْعُودَا	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾(٢).	القرآن الكريم	مباشر	امتصاصي

(١) سورة هود آية ١٠٤

(٢) سورة محمد آية ٨

٢١٠	كلُّ رهنٍ لهُ فَكَاكٌ ولكنْ مَا لرهنٍ لدَى أُميمةَ فَادِ	وفَارَقَتْكَ برهنٍ ، لا فَكاكَ لهُ** يومَ الوَداعِ فأَمسى الرهنُ قدْ غَلِقَا [١]	الشعر العربي	مباشر	اجترارى
٢٣٠	أَأَحْمَدُ صَبْرًا عَلَى مَا يَنُوبُ فَإِنَّ الإِلَهَ مَعَ الصَّابِرِ	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٢].	القرآن الكريم	مباشر	اجترارى
٢٨٢	أَبَحْتُ منَ المَجْدِ كنزًا عظيمًا ومنْ يَسْتَبِحْهُ كذَا يَبْرَعُ	عظيمينِ في عُلْيًا معدّ هُدِيتُمَا***ومنْ يَسْتَبِحْ كنزًا منَ المجدِ يَعْظُمِ[٣]	الشعر العربي	مباشر	امتصاصي

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح الأستاذ على حسن فاعور، ط١، ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية ، ص ٧٢.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٣

(٣) شرح المعلقات للزوزني ، معلقة زهير بن أبي سلمى ، ص ١٢٠ .

٢٨٩	حَيْثُ الْمُؤَمَّلُ بِالمَأْمُولِ يَسْعِفُهُ بِدْءٌ بِهِ خَتْمُ رُسْلِ اللهِ قَدْ سَبَقَا	قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجْلِسْ يَا عَمِّ، فَأَنْتَ خَاتَمُ الْمُهَاجِرِينَ، كَمَا أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»(١).	الحديث الشريف	مباشر	اجترارى
٢٩٩	أَجْلَتْ رِجَالُهُمُ عَنْهُنَّ وَابْتَدَرُوا أَنْ يَبْتَغُوا سُلَّمًا فِي الجَوِ أَوْ نَفَقَا	﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾(٢).	القرآن الكريم	مباشر	امتصاصي
٣٠٨	كَمْ دُونَ عَائِشَ قَدْ تَعَرَّضَ مِنْ فَـجٍّ نَصَتْهُ أَفِـجَّةٌ عُـمْـقُ	﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(٣).	القرآن الكريم	مباشر	امتصاصي

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق : د/ وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م) ، رقم الحديث ١٨١٣، جـ ٢، ص ٩٤١ .

(٢) سورة الأنعام آية ٣٥

(٣) سورة الحج آية ٢٧

٣٣١	والْزَمِ الصبرَ في الأُمُورِ جميعًا واعبــدِ اللهَ واتَّخِذْهُ وكيــلَا	﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾[١].	القرآن الكريم	مباشر	اجترارى
٣٣٩	إِنَّ فِي الصَّبْرِ عَزَاءً لِلْأَسَى لَمْ يَزَلْ يَنْسَى أَسَاهُ مَنْ عَقَلْ	﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٢]	القرآن الكريم	غير مباشر	اجترارى
٣٤٢	هَبُوا أَنَّكُمْ جَادَلْتُمُ اليومَ عَنْهُمُ فَمَنْ عَنْهُمُ يومَ الحِسَابِ يُجَادِلُ	﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[٣].	القرآن الكريم	مباشر	اجترارى
٣٤٢	وإنكمْ _ والموتَ إذْ تتَقُونَهُ بأنَّكُــمُ عُزْلٌ ضِعَافٌ أَرَاذِلُ	زَالوا، فما زال أنكاسٌ، ولا كُشُف** عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولا مِيــلٌ مَعازيل[٤]	الشعر العربى	غير مباشر	حوارى

(١) سورة المزمل ، آية ٩

(٢) سورة فصلت آية ٣٥

(٣) سورة النساء آية ١٠٩

(٤) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد بن أبي الخطاب القرشي، البيت لكعب بن زهير، ص ٦٤٠ .

٣٥٢	فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَأْمَنُوا مَكْرَ رَبِّكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْهِ بِالأَمَانِي كَافِلُ	﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١].	القرآن الكريم	مباشر	امتصاصي
٣٥٦	دُمْيَةٌ منْ دُمَى المَحارِيبِ تَسْقِي صِرْفَ صَافِي المُدامِ شَوْكَ السَّيَالِ	مَنابِتُهُ مِثْلُ السُّدوسِ وَلَوْنُهُ** كَشَوْكِ السيَّالِ فهوَ عذبٌ يَفيضُ[٢]	الشعر العربي	مباشر	اجترارِي
٣٦٠	وأَعِدُّوا لِكُلِّ خَطْبٍ مُلِمٍّ عُدَّهُ مِنْ عَزَازَةٍ ونَوَالِ	﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٣].	القرآن الكريم	مباشر	إشاري

(١) سورة الأعراف آية ٩٦

(٢) ديوان امرئ القيس للمصطاوي، ص١١٧

(٣) سورة الأنفال ، آية٦٠

٤٠٤	منازِلُ هيَّجْنَ مــا لمْ تَهِــجْ منــازِلُ مــاوِيَّ بالحــائِلِ	يَــا دار ماويةَ بالحــائــلِ فالسُّهْبِ فالخَبْتَينِ منْ عاقلِ(١)	الشعر العربي	مباشر	اجترارِي
٤٤٣	أرانَا لِصَرْفِ الدَّهْرِ صَرْعينِ مُقْعَصًا فَمُصْمَى ومُنْمَى إنْ تخطَّاهُ أهْرَما	رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشواءَ مَنْ تُصِبْ** تُمِتْهُ وَمَنْ تخطئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ(٢)	الشعر العربي	مباشر	اجترارِي
٤٤٥	وَرَاعِ حُدُودَ اللهِ لَا تَتَعَدَّهَــا وَصَغِّرْ وَعَظِّمْ مَا أَهَانَ وَعَظَّمَا	﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٣).	القرآن الكريم	مباشر	اجترارِي

(١) ديوان امرئ القيس للمصطاوي، ص١٤١ .

(٢) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد بن أبي الخطاب القرشي ، البيت لزهير بن أبي سلمى ، ص ١٧٦.

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . خير من اجتباه ربه واصطفاه وشرفه بالرسالة ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . **أما بعد** ،،

فقد انتهيت بفضل الله تعالى وتوفيقه من إعداد هذه الدراسة، والتي موضوعها" التناص في شعر محمد ابن الطلبه " ، وقد أسفرت هذه الدراسة عن كثير من النتائج أهمها:

_ إن "ابن الطلبه" كان عالما فذا واسع المعرفة ، ملما بالعلوم والمعارف بفضل جده واجتهاده ، وغزارة علمه وسعة ثقافته .

_إن التناص يعني تعالق النصوص وتداخلها ، وإن أغلب النصوص المعاصرة هي إحالة لنصوص سابقة غائبة وليست تكرارا وتقليدا على أي مستوى من مستويات التناص(الاجتراري ، الإشاري ، الامتصاصي ، الحواري) .

_ إن الأديب يستحضر ويستدعي ما علق في ذهنه واستولى على عاطفته ، لذا أكثر "ابن الطلبه" من التناص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ويرجع ذلك لنشأته الدينية، ومحاولة منه في إضفاء مصداقية وجمالا على شعره.

_ إن " ابن الطلبه " مثل غيره من الشعراء هام بالموروث فاستدعاه في شعره ووظفه توظيفا فنيا مع الملاءمة بينه وبين الواقع ؛ ليثير انتباه المتلقي وليضفي على شعره الإمتاع والإقناع، والخروج من السطحية والرتابة .

ـ إن "ابن الطلبه" لم يعمد للتناص لتزيين شعره وتنميقه، وإنما كان لهدف أراد أن يرسخه أو فكرة أراد توضيحها ، أو لتوجيه رغب في الالتزام به أو لتحذير رغب في الابتعاد عنه .

ـ إن التناص بمستوياته ورد بكثرة في شعر "ابن الطلبه" ، وكان أكثرها شيوعا المستوي الأول التناص الاجترارى .

ـ إن مستويات التناص تتفاوت في قلتها وكثرتها حسب الموقف والسياق ، فهي تصدر عن وعي منه وقصد ، فإذا أراد أن يدعم رأيه ويعطي مصداقية لشعره استخدم التناص الاجترارى، وإذا قصد الإيجاز والتكثيف استخدم التناص الإشاري ، وإذا أراد أن يطوع النص الغائب للتعبير عن الواقع المعاش استخدم التناص الامتصاصي ، وإذا أراد أن يقدم رؤية فكرية جديدة أو يعمق الدلالة القديمة استخدم التناص الحواري.

وفي الختام أود أن أشير إلى أن كل ما حققته كان من فيوضات الله . عز وجل . والله أسأل أن أكون قد وفقت لما فيه صلاح ديني ودنياي وآخرتي ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد**
- **كتب الأحاديث النبوية الشريفة**

١. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تأليف علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة(١٣٤١٧هـ -١٩٩٦م) .

٢. الزهد لأحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ ، وضع حواشيه : محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م) .

٣. سنن ابن ماجه ، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ، المحقق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة العلمية، الطبعة الأولى(١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).

٤. شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف المتوفي ٤٤٩هـ ، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد ، السعودية ـ الرياض ، الطبعة الثانية(١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م) .

٥. صحيح مسلم، الكتاب الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفي ٢٦١هـ، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٦. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: د/ وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م).

٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفى٢٤١هـ، المحقق شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد وآخرون، إشراف / عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
٨. مسند الحميدي، المؤلف : أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي (المتوفى: ٢٩ هـ)، المحقق حسن سليم أسد الداراني، الناشر دار السقا، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى (١٩٩٦م).

كتب الأدب

١ - أدب الدنيا والدين ، تأليف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي ، بدون طبعة ، تاريخ النشر ١٩٨٦م .
٢ الأمالي لأبي علي القالي المتوفي ٣٥٦هـ، وضعها ورتبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر / دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية (١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م)، جـ ١.
٣ الأمثال لابن سلام، المحقق الدكتور / عبد المجيد قطامش ، الناشر / دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
٤ التناص في شعر حسان بن ثابت الأنصاري، تأليف الباحثة : بشائر أمير عبد السادة، كلية التربية، جامعة بابل، المؤتمر العلمي الثاني لكلية التربية ٢٠٠٨م.
٥ البداية والنهاية، تأليف : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الناشر : مكتبة المعارف بيروت، (د - ت).

٦ تجليات التناص في شعر عفيف الدين التلمساني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إعداد الطالب / عبد الحميد جريوي ، إشراف الدكتور / عبد القادر دامخي .
٧ تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، تأليف الدكتور / محمد مفتاح ، الناشر : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، الطبعة الثانية ١٩٨٦م ، الطبعة الثالثة يوليو ١٩٩٢م.
٨ التناص في الشعر العربي المعاصر التناص الديني نموذجا، إعداد / ظاهر محمد هزاع الزواهرة، إشراف أد/ إبراهيم عبد الرحيم السعافين، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ٢٠١١م.
٩ التناص في شعر الرواد دراسة ، تأليف : أحمد ناهم ، الناشر : دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.
١٠ التناص في شعر عماد الدين الأصبهاني، قدمت استكمالا لدرجة الماجستير ، بكلية الدراسات العليا، في جامعة الخليل ٢٠١٣ ـ ٢٠١٤م ، إعداد الطالب / محمد إبراهيم محمد أبو نعمة ، إشراف الدكتور / حسام التميمي .
١١ التناص نظريا وتطبيقيا ، تأليف الدكتور / أحمد الزغبي ، طبع / مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).
١٢ تهذيب اللغة للأزهري المتوفي ٣٧٠هـ ، المحقق : محمد عوض مرعب ، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .
١٣ جمل من أنساب الأشراف، تأليف: أحمد بن جابر بن داود البلاذري المتوفي ٢٧٩هـ ، تحقيق: سهل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

١٤ جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفي ١٧٠هـ ، حققه: علي محمد البجادي ، الناشر نهضة مصر للطباعة.
١٥ جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري المتوفي ٣٩٥ هـ، الناشر / دار الفكر بيروت .
١٦ ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، تحقيق وشرح الدكتور : أنطونيوس بطرس ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ، طبع / دار صادر بيروت.
١٧ ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : الأستاذ على فاعور، طبع دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م).
١٨ ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، طبع : دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .
١٩ ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي المتوفي ٥٤٥ م ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر / دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
٢٠ ديوان جرير، شرح: محمد بن حبيب ، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه ، الناشر: دار المعارف القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثاني .
٢١ ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح الأستاذ: على حسن فاعور، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية .
٢٢ ديوان طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي المتوفي ٥٦٤م ، المحقق: مهدي محمد ناصر الدين ، الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
٢٣ ديوان عنترة ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، الناشر: المكتب الإسلامي .

٢٤ ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

٢٥ ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني(١١٨٨ م/ ١٢٧٢هـ ـ١٧٧٤ ـ ١٨٥٦م) شرح وتحقيق: الأستاذ محمد عبد الله بن الشبيه بن أبوه ، الناشر أحمد سالك بن محمد الأمين بن ابُّوه ، المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي نواكشوط ، موريتانيا.

٢٦ شرح المعلقات السبع، تأليف: الإمام أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الحسين الزوزني، تحقيق : الشيخ طه عبد الرؤف سعد، الناشر : دار الحرم للتراث ، الطبعة الأولى (١٣٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) .

٢٧ شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني المتوفي ٤٢١هـ ، حققه :غريد الشيخ ، وضع فهارسه : إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٢٨ شرح كتاب الحماسة للفارسي ، المؤلف : أبو القاسم زيد بن علي الفارسي المتوفي ٤٦٧هـ ، حققه: د. محمد عثمان علي ، الناشر دار الأوزاعي بيروت، الطبعة الأولى ، الجزء الثاني .

٢٩ علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ، تأليف : عز الدين المناصرة ، الناشر : مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، شركة المدينة لأعمال الطباعة .

٣٠ مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني المتوفي ٥١٨هـ، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥ م) ، مطبعة السنة المحمدية.

٣١ منهج التناص(مدخل في التنظير ودروس في التطبيق)، تأليف: د. عبد العاطي كيوان، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى(١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م) .

٣٢ موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، تأليف : أحمد معمور العسيري، الناشر : مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرباط ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م) .

٣٣ الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، تأليف : أحمد بن الأمين الشنقيطي ، بعناية: فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ، مطبعة المدني، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٩م .